
إهداء إلى ..


كن متفائلاً

ح ماجد سعود العوشن ، ١٤٢٨ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العوشن ، ماجد سعود

كن متفائلاً ، ماجد سعود العوشن .- الرياض ١٤٢٨هـ

٢٤٦ ص ؛ ١٢ × ٢١ سم

ردمك: ٢ - ٦٩٢ - ٥٨ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١ - التفاؤل   أ.العنوان

ديوي ١٤٩.٥   ١٤٢٨/٧١٧١

رقم الإيداع: ١٤٢٨/٧١٧١

ردمك: ٢ - ٦٩٢ - ٥٨ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨



في البداية ..

من باب قول النبي ﷺ : « **لا يشكر الله من لا يشكر الناس** » فإني أشكر كل من اجتهد في إخراج هذا الكتاب صفاً وتدقيقاً ومن ثم إخراجاً على جهودهم ..

فلهم مني الشكر ومن الله الأجر والثواب

توطئة:

على الرغم من سهولة كلمة (كن متفائلاً) ، إلا أنها تُعدّ أساس كثير من قراراتنا اليومية التي نتخذها وتحدد مسار حياتنا . كما أنها أساس المواقف التي نتبناها .

هناك ملايين الناس الذين تراودهم في كل لحظة فكرة بدء عمل أو نشاط أو مشروع خاص ، ولكن الناجحين منهم لا تتجاوز نسبتهم ١٠٪ فقط ، لأنهم بدؤوا أعمالهم بنفسيات متفائلة .

وكتبه

ماجد بن سعود بن عبد العزيز آل عوشن

٣٠/شعبان/١٤٢٨هـ

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستغفره ونتوب إليه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله أما بعد:

فإن صفحات الحياة تتقلب بين خير وشدّة وسرور وحزن، وتموج بأهلها من حال إلى حال: بسط وقبض، سراء وضراء، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾[1]. وفي الحياة مصائب ومحن وابتلاءات، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾[2]، والدنيا مطبوعة على المشاق والأهوال طافحة على الكدر والأكدار:

طُبِعَتْ على كَدَرٍ وأنت تريدها

صفواً من الأقذاءِ والأكدارِ

والناظر في حال كثير منا اليوم يرى أن الشيطان قد غلب وغلَّب على نفوسنا جانب اليأس والقنوط أمام هذه التقلبات حتى أصبح حالُنا غايةً في التذمر، نظرنا إلى المجتمع نظرةً سوداء قاتمةً، ورأينا كل شيء أسودَ وحجبنا

(١) سورة آل عمران، آية (١٤٠).

(٢) سورة البقرة، آية (١٥٥).

عن أعيننا كثيرَ الخير ناهيك عن قليله فأصبحنا لا نرى إلا الوجه المظلم لأننا لم نتفاءل .

حينها نكون مأمورين بالتفاؤل أمام هذه التقلبات ، ومنهيين عن الطيرة والتشاؤم ، ننظر إلى الحياة بوجه غير الذي ينظر به المتشائم ، فإذا مرضنا لم ينقطع أملنا بالله وتفاءلنا بقرب الشفاء قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ۝٧٨ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ۝٧٩ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴾[1]، وإذا حاربنا نتفاءل ونثق بنصر الله لنا، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ۝١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾[2].

وإذا اقترفنا ذنباً أو جرماً فإننا لا نيأس من المغفرة ، ومهما كان الذنب عظيماً فإن تفاؤلنا بعفو الله أعظم ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[3] .

والمؤمن إذا أعسر وضاقت ذات يده تفاءل و أمل بالله ولم يزل إيمانه فيه عظيماً ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[4].

---

(١) سورة الشعراء ، الآيات (٧٨ - ٨٠) .

(٢) سورة الصافات ، آية (١٧٢و ١٧٣).

(٣) سورة الزمر ، آية (٥٣).

(٤) سورة الشرح ، آية (٥ و ٦)



وقد حث النبي ﷺ على التفاؤل ورغب به فقال ﷺ: ((لا طيرة، وخيرها الفأل، قالوا: وما الفأل يا رسول الله؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم))[1]، ((وكان صلى الله عليه وسلم، يعجبه الفأل ويكره الطيرة))[2] ، ((وكان صلى الله عليه وسلم إذا خرج لحاجته، يعجبه أن يسمع يا نجيح أو يا راشد))[3]، ((كان لا يتطير من شيء ، و كان إذا بعث عاملا سأل عن اسمه ، فإذا أعجبه اسمه ، فرح به ، و رؤي بشر ذلك في وجهه ، و إن كره اسمه ، رؤي كراهية ذلك في وجهه ، و إذا دخل قرية سأل عن اسمها ، فإن أعجبه اسمها ، فرح بها ، و رؤي بشر ذلك في وجهه ، و إن كره اسمها ، رؤي كراهية ذلك في وجهه))[4].

وكان الرسول ﷺ طول حياته متفائلاً بظهور دعوته وانتشارها في بقاع الأرض ، عندما كان مضطهداً في مكة ، وقومه مضطهدون ، فيمر على آل ياسر وهم يُضْرَبون فيطمئنهم ويُصَبِّرُهم ويبشرهم بالجنة.

وكان يأتيه الرجل من أصحابه يشكو إليه ما حل به من أذى قريش فيطمئنه ويبشره بظهور هذا الدين، وكان ﷺ

---

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه ابن ماجة.

(٣) رواه الترمذي وقال: حسن.

(٤) السلسلة الصحيحة ، رقم (٧٦٢) .

متفائلاً بوصول جنود الإسلام إلى أرض فارس ، وتحطيم عرش كسرى واستيلائهم عليه، ولقد تم ما تفاءل به النبي ﷺ .

وكذلك نجد حياة الصحابة رضوان الله عليهم كلها حياة متفائلة ، لما لمسوه وشاهدوه من القرائن والأحوال التي تدل دلالة واضحة على صدق رسالة الرسول ﷺ .

أنس بن النضر رضي الله عنه تفاءل بالجنة في غزوة أحد ، بل شم ريحها فقاتل بروح متفائلة حتى استشهد ، وعمير بن الحمام رضي الله عنه عندما ألقى التمرات من يده ، حين سمع أن الجنة تحت ظلال السيوف[1] ، فدخل تحت هذه الظلال بروح متفائلة حتى استشهد ، وخالد بن الوليد رضي الله عنه لم يدخل معركة من المعارك إلا كان متفائلاً بالنصر ، وكان يحرز بهذا التفاؤل النصر تلو النصر .

وجاء دور العلماء والدعاة إلى الله فساروا بالدعوة متفائلين بالنصر والفوز والنجاح ، لم يتأثروا بما يوضع لهم من عراقيل بل يزيدهم طموحاً وتفاؤلاً ؛ لأنهم واثقون بنصر الله لهم ، فلم يجعلوا لليأس منفذاً واحداً ينفذ

(١) قال الرسول ﷺ: ((أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله تعالى العافية فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال: اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب اهزمهم وانصرنا عليهم)) رواه أبو داود (٤٣/٣)، وصححه الألباني.

اليهم، لأنهم متحصنون قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[1] .

وقد حدد الشيخ حسن البنا رحمه الله النفس المتفائلة التي تريدها صفوف الدعوة فقال : (**نحن نريد نفوساً حية، قوية ، فتية ، وقلوباً جديدة خفاقة ، ومشاعر غيورة ، ملتهبة مضطرمة ، وأرواحاً طموحة ، متطلعة متوثبة ، تتخيل مُثُلاً عُليا ، وأهدافاً سامية لتسمو نحوها وتتطلع إليها ثم تصل إليها**)[2].

لقد رغّب الإسلام في التفاؤل؛ لأنه يشحذ الهمم للعمل، وبه يحصل الأمل الذي هو أكبر أسباب النجاح[3]؛ فالطالب الذي يذهب و عنده حسن ظن بربه تجد همته قوية، وينعكس ذلك على تقويمه ونجاحه، وعكس ذلك من دخل متشائما فسيفشل بلا شك ولو كان يعرف الإجابة معرفة جيدة.

وأعلى التفاؤل توقّع الشفاء عند المرض والنجاح عند الفشل والنصر عند الهزيمة وتوقُّعُ تفريج الكروب ودفع المصائب والنوازل عند وقوعها، فالتفاؤل في هذه المواقف

---

(١) سورة يوسف ، آية (٨٧) .

(٢) رسالة دعوتنا ، ص ١٧- ١٨.

(٣) من أسرار هذه الشريعة أنها توفر للمسلم أسباب النجاح.

يولّد أفكارَ ومشاعر الرضا والتحمّل والأمل والثقة، ويبعد أفكار ومشاعر اليأس والانهزامية والعجز.



التطير في الجاهلية:

كان التطير موجودا عند بعض العرب في الجاهلية ، فقد كانوا يتشاءمون، فينفرون الظباء والطيور، فإن أخذت ذات اليمين تبركوا بها ومضوا في سفرهم وحوائجهم، وإن أخذت ذات الشمال رجعوا عن سفرهم وحاجتهم وتشاءموا بها، فكانت تصدهم في كثير من الأوقات عن مصالحهم، فنفى الشرع ذلك وأبطله ونهى عنه، وأخبر أنه ليس له تأثير بنفع ولا ضر، فهذا معنى قوله ﷺ: ((**لا طيرة**)).

وقد أخرج الطبري عن عكرمة قال: كنت عند ابن عباس فمر طائر فصاح، فقال رجل: خير خير، فقال ابن عباس: (**ما عند هذا لا خير ولا شر**).

وكذلك كان عند العرب الاستقسام بالأزلام ، والأزلام قداح كانت العرب في الجاهليَّة تتَّخذها قد كتب في أحدها: "**افعل**" وفي الثاني: "**لا تفعل**"، فإذا أراد فعل شيء استقسم بها، وذلك بأن يلقيها، فإن خرج السهم الذي فيه "**افعل**" أقدم على الفعل، وإن خرج السهم الذي فيه "**لا تفعل**" امتنع منه، ومن هذا الباب ما قد يكون بالخط، وقد يكون بقرعة وأنواعها كثير، وقد يكون بالنظر في النجوم. فجاء الشرع برفع ذلك كله.

ولم تكن كل العرب تعتقد هذا وتقول به . قال ابن القيم رحمه الله تعالى : (ومنهم من أنكرها بعقله ، وأبطل

تأثيرها بنظره، وذم من اغتر بها واعتمد عليها ، وتوهم تأثيرها ، فمنهم المرقش حيث يقول :

ولقد غدوت وكنت لا أغدو على واق وحاتم[(١)]

فإذا الأشائم كالأيامن والأيامن كالأشائم

وكذاك لا خير ولا شر على أحد بدائم

لا يمنعنك من بغاء الخير تعقاد التمائم

قد خُطّ ذلك في السطور الأوليات القدائم

وقال الكميت :

وما أنا ممن يزجر الطير همه أطار غراب أم تعرض ثعلب

ولا السانحات البارحات عشية أمر سليم القرن أم مر أعضب)[(٢)]



(١) يعني بالواق الصُرَد ، وهو طائر ، وبالحاتم الغراب ، سموه حاتماً لأنه كان عندهم يحتم بالفراق .

(٢) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة ، (٢/٢٣٠) .

التشاؤم في عصرنا:

فنرى من يتشاءم في عصرنا الحديث من الرقم (١٣) ثلاثة عشر، ففي بعض المباني لا يوجد الدور الثالث عشر، بينما يوجد الدور الثاني عشر ثم الرابع عشر مباشرة، وكذلك عندهم في بعض المستشفيات لا يوجد غرفة رقم ثلاثة عشر؛ تشاؤمًا من هذا الرقم[١].

ويوجد كذلك من يتشاءم بصوت الإسعاف أو صوت سيارات الإطفاء أو الشرطة أو غيرها، ويوجد من يتشاءم من بعض الألوان كاللون الأحمر والأسود، ويوجد كذلك في القنوات الفضائية والمجلات وبعض الإذاعات ما يسمّى بالأبراج[٢]، وفيها أيام نحس، وأيام سعد، وأيام النحس في هذا البرج هي نفس أيام السعد في ذلك البرج، ومن ولد في هذا اليوم من البرج فهو سعيد، ومن ولد في ذلك البرج فهو منحوس[٣].

ومنهم من يتشاءم بشهر شوال، ولا سيما في النكاح، وقد نقضت عائشة رضي الله عنها هذا التشاؤم، بأنه ﷺ عقد عليها وبنى بها في شهر شوال؛ فكانت تقول: " **أيكن**

---

(١) وهذا من الجهل المطبق، فما دخل الرقم ثلاثة عشر بالتشاؤم أو بالتفاؤل؟!.

(٢) برج الجوزاء برج العقرب برج الثور وغيرها.

(٣) وهو من الشرك الذي نهى الشارع عنه.

كان أحظى عنده مني "[1].

ومنهم من يتشاءم بشهر صفر ، ويقولون : لو عمل فيه الإنسان أي عمل : زواج أو ولد له أو سافر فإنه لا يوفق ، وهذا أيضاً باطل ، ولهذا صار بعض الناس يقابل البدعة ببدعة ، يسمي صفر : "صفر الخير"[2] .

وأيضا يوجد من بعض الناس من لا يسمي ولده الجديد باسم الولد الذي قد مات مخافة أن يموت مثلَ أخيه، وهذا من التشاؤم المنهي عنه.

التشاؤم بالحيوانات والنباتات

ومن ذلك أيضاً التشاؤم بالحيوانات، كالقطط السود والكلاب السود.. أو غيرها، أو بالنباتات كما كان العرب يتشاءمون بالسفرجل أو بالسوسن، أو كما يتشاءمون من الأعور أو الأعرج .. أو غيرهم.

التشاؤم بالأسماء

وكذلك أيضاً التشاؤم من الأسماء؛ كما يقال عن ابن الرومي أنه جاءه غلام يدعوه فقال: ما اسمك؟ فقال: إقبال. فتشاءم وقال لا أذهب.

قالوا له: لم؟ قال: لأن نقيض اسم إقبال وعكسه : لا بقاء!

وكذلك أيضاً التشاؤم من الأجواء وأحوال الطقس.

---

(١) أخرجه مسلم ، في النكاح ، باب التزوج في شوال ، (١٠٣٩/٢).

(٢) شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين رحمه الله ، (٤١٥/٦) .

قال : السماءُ كئيبــةٌ وتَجَهَّمـــا

قلت : ابتسم، يكفي التجهمُ في السما

ويقول آخر :

وفوقي سحاب يمطر الهم والأسى

وتحتـــي بحـــار بالأسى تتدفـــق

ويقول آخر :

فثوبي مثل شَعري مثل حظـــي

ســـوادٌ في سَـــوادٍ في ســـــواد

وكذلك التشاؤم من الأحلام التي يرونها في المنام؛ فتسيطر على يقظتهم وتؤثر في نفسياتهم وفي قراراتهم.

وكذلك أيضاً التشاؤم من العقبات والعوائق التي قد تعترض طريقهم؛ فإذا وجد الإنسان مشكلةً في بداية عمله أو دراسته أو حياته الزوجية أو سكنه في المنزل الجديد أو علاقته الشخصية مع فلان أو فلان؛ تشاءم منها وظن أن الطريق كله طريق شائك شاق ونسب الأمر إلى حسد أو عين أو سحر وأي خلاص أو سعادة لإنسان يحس بأن الشر ممنوح له ينتظره في كل مكان!.

وكذلك بعض الناس إذا حاول الأمر مرة بعد أخرى تشاءم بأنه لن ينجح فيه فيتركه ، وهذا خطأ ؛ فكل شيء

ترى فيه المصلحة؛ فلا تتقاعس عنه من أول محاولة [1] .

ولا شك أن هذا كله من التطير المنهي عنه شرعاً كما قال النبي ﷺ: ((**الطيرة شرك**))[2].



(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ، شرح الشيخ : محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، (١/ ٤١).

(٢) رواه أحمد (٤١٩٤) ، وأبو داود (٣٩١٠) ، والترمذي (١٦١٤) وابن ماجه (٣٥٣٨) ، وصححه الألباني في صحيح أبي داود .

حكم التفاؤل والتطير

في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال : ((**لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل قالوا: وما الفأل قال : كلمة طيبة**))[1]، فـ" **الكلمة الطيبة** " تعجبه ﷺ ؛ لما فيها من إدخال السرور على النفس والانبساط، والمضي قدماً لما يسعى إليه الإنسان[2]، ومن ذلك أن النبي ﷺ كان في غزوة الحديبية وكانت قريش تراسله ، فأرسلوا إليه في النهاية سهيل بن عمرو ، فلما أقبل، قال النبي ﷺ : هذا سهيل بن عمرو وما أراه إلا قد سهل أمركم ، أو كلمة نحوها ، فتفاءل بالاسم[3] .

تعريف التطيُّر

وَالتَّطَيُّر هو التشاؤم بالطيور ، والأسماء، والألفاظ ، والبقاع ، والأشخاص ، وأصله الشيء المكروه من قولٍ أو فعل أو غيره، وقيل التشاؤم بمرئي كان أو مسموع أو معلوم ، زماناً كان أو مكاناً، وهذا أشمل ؛ فيشمل ما لا يرى ولا يسمع كالتطير بالزمان.

أصل التطيُّر

وأصل التطير : التشاؤم، لكنه أضيف إلى الطير ؛ لأن العرب في الجاهلية يتشاءمون بالطيور فغلب الاسم على

---

(١) البخاري (٥٧٧٦) ومسلم (٢٢٢٤).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ، شرح الشيخ : محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، (١٠٦/١).

(٣) شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين رحمه الله ، (٤١٥/٦) .

كل تشاؤم ، فعلقت به ، وإلا فإن تعريفه العام : التشاؤم بمرئي أو مسموع أو معلوم [1] .

والتشاؤم بالمرئي مثلاً: لو رأى طيراً فتشاءم لكونه موحشاً .

والتشاؤم بالمسموع مثلاً : مَن همَّ بأمر فسمع أحداً يقول لآخر : يا خسران ، أو يا خائب ؛ فيتشاءم.

والتشاؤم بالمعلوم مثلاً : التشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور أو بعض السنوات ؛ فهذه لا ترى ولا تسمع[2] .

والإنسان إذا فتح على نفسه باب التشاؤم؛ ضاقت عليه الدنيا ، وصار يتخيل كل شيء أنه شؤم ، حتى إنه يوجد أناس إذا أصبح وخرج يتخيل كل شيء أنه شؤم [3] .

وَإِنَّمَا كَانَ ﷺ يُعْجِبهُ الْفَأْل لأَنَّ التَّشَاؤُم سُوء ظَنّ بِاللَّهِ تَعَالَى بِغَيْرِ سَبَب مُحَقّق قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[4] .

ثم إن التشاؤم يعذب به صاحبه ويتألم به قبل وقوع أي أمر، فإن بعض الناس قد يجمعون بين المصائب بسبب سوء

---

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد ، شرح الشيخ : محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، (١/ ٤٠).

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد ، شرح الشيخ : محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، (١/٩٣).

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد ، شرح الشيخ : محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، (١/٤٠).

(٤) سورة فصلت، آية (٢٣) .



ظنهم بربهم وتشاؤمهم، وبين الألم والخوف والعذاب قبل وقوع المصائب.

الفرق بين الفأل والطيرة[1]:

الفأل	الطيرة
الفأل يكون فيما يسرُّ[2] .	الطيرة لا تكونُ إلا فيما يسوء .
الفأل فيه حسن ظن بالله، والعبد مأمور أن يحسن الظن بالله .	الطيرةُ فيها سوءُ ظنٍّ بالله، والعبدُ منهي عن سوء الظن بالله.

كما أنه من الفروق بينهما[3]:

التفاؤل يعزز من	التشاؤم يعزز من
الشعور بالسعادة	الاكتئاب[4]
الثقة بالنفس	القلق[5]

(١) الملخص في شرح كتاب التوحيد ، الشيخ : صالح بن فوزان الفوزان ، ص ٢٣٠.

(٢) الملخص في شرح كتاب التوحيد ، الشيخ : صالح بن فوزان الفوزان ، ص ٢٣٠.

(٣) التفاؤل التلقائي ، د. ما يكل ميرسر ، د. ماريان تروياني ، ص ٢١.

(٤) الاكتئاب : حالة من الحزن الشديد المستمر ، تنتج عن الظروف المحزنة الأليمة، الأسباب التي تؤدي إلى الاكتئاب ، ليست واضحةً دائماً ، فربما عادت الإصابة به إلى تذبذب في كيمياء المخ ، أو إلى بُعد الهوة بين الإنجازات والطموحات ، أو إلى حالات متكررة من الإخفاق ، أو بسبب المقارنة مع الآخرين ، أو بسبب الحرص على درجة عالية من (المثالية) لا يتمكن صاحبها من بلوغها. [كتاب : عصرنا والعيش في زمانه الصعب ، أ.د. عبد الكريم بكار ، ص١٨٠].

(٥) القلق : هو حالة من التوتر الشامل والمستمر نتيجة توقع خطر فعلي أو رمزي قد يحدث . ينشأ (القلق) من خلال ما تنطوي عليه سرائر الناس من توقعات وطموحات ،=

التشاؤم يعزز من	التفاؤل يعزز من
وقوف العقبات في طريقك	اجتياز العقبات
الحل ممكن ولكنه صعب	الحل صعب ولكنه ممكن
الوقوع في المشاكل	النجاح في العمل
التشاؤم ينتج عنه الكسل بدلاً من النشاط لمواجهة العوائق ، ولذا فالمتشائمون يفشلون بشكل شبه دائم حتى ولو كان النجاح سهل المنال .	التفاؤل طريق النجاح ولذا فالمتفائل إذا تعرض للفشل يكون تأثيره بانخفاض قصير المدى للروح المعنوية.
إثارة مزيد من القلق	الحد من إثارة القلق
المشاعر السيئة	المشاعر الطيبة
المرض	الصحة

= ومن كون المستقبل غيبياً ، يمكن أن يحمل لهم ما يسر ، وما يسوء . [كتاب : عصرنا والعيش في زمانه الصعب ، أ.د. عبدالكريم بكار ، ص ١٧٦].

وفرق بين الحزن والاكتئاب ، وبين الخوف والقلق .

- فالحزن على أمر قد فات .
- والخوف من أمر يأتي . وقد يعبر عن الخوف بالهم أيضاً .
- والذي يظهر أن الهمَّ والغم نتيجة تحصل بعد الحزن أو بعد الخوف والقلق . [الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة ، د. عبد الله الخاطر – رحمه الله – ص ١٦].

التفاؤل يعزز من	التشاؤم يعزز من
الأمل	فقدان الأمل
الرخاء	المشاكل المالية



حد الطيرة :

وحد الطيرة المنهي عنها ، كما فسرها الرسول ﷺ بقاعدة كلية بقوله :((**إنما الطيرة ما أمضاك أو ردك**))[1] وهي ما يحمل الإنسان على المضي فيما أراده أو يمنعه من المضي فيه ، ومن مضى أو امتنع بسببها فقد أشرك[2].

عن معاوية بن الحكم – رضي الله عنه – قال : قلت يا رسول الله ، منا رجال يتطيرون . فقال : ((**ذلك شيء يجدونه في صدورهم ، فلا يصدّنهم**))[3].

وقال النووي : (**معناه أن الطيرة شيء تجدونه في نفوسكم ولا عتب عليكم في ذلك ، ولكن لا تمتنعوا بسببه من التصرف في أموركم**)[4].

(١) مسند الإمام أحمد ، (٣/٢٤٠) .

(٢) حاشية كتاب التوحيد ، للشيخ : عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله ، ص ٢٢٢.

(٣) رواه مسلم .

(٤) الفأل سرور واستبشار دون اعتماد التفات ، الطيرة فيها التفات إلى غير الله . [ذكرها الشيخ / عبدالعزيز العبداللطيف].

إذا رأى الشخص ما يكره فماذا يفعل ؟

عن عروة بن عامر رضي الله عنه ؛ قال : ذُكرت الطيرةُ عند رسول الله ﷺ ، فقال : ((أحسنها الفأل ، ولا تردُّ مسلماً[1] ، فإن رأى أحدكم ما يكره ؛ فليقل : اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت ، ولا يدفع السيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بك))[2] .



كفارة الطيرة

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك ، قالوا : يا رسول الله وما كفارة ذلك ؟ قال: يقول : اللهم لا طير إلا طيرك ، ولا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك))[3] .



(١) يفهم منه أن من ردته الطيرة عن حاجته ؛ فليس بمسلم . القول المفيد على كتاب التوحيد ، شرح الشيخ : محمد بن صالح العثيمين رحمه الله ، (١/ ١٠٨).

(٢) أخرجه أبو داود (٢٣٥/٤) – وسكت عنه ، وقال النووي في " الرياض " كما في "دليل الفالحين " ص (٨٠٦) رواه أبو داود بإسناد صحيح.

(٣) رواه الإمام أحمد (٧٠٤٥) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٢٦٤).

إشكال :

وقد جاءت أحاديث ظَنَّ بعض الناس أنها تدل على جواز الطيرة كقوله ﷺ : ((**إنما الشؤم في ثلاث : في الفرس ، والمرأة ، والدار**))[1] ونحو هذا .

قال ابن القيم رحمه الله : (**الشؤم في هذه الثلاثة إنما يلحق من تشاءم بها وتطير بها فيكون شؤمها عليه ومن توكل على الله ولم يتشاءم ولم يتطير لم تكن مشؤومة عليه. قالوا ويدل عليه حديث أنس" الطيرة على من تطير" وقد يجعل الله سبحانه تطير العبد وتشاؤمه سببا لحلول المكروه به كما يجعل الثقة والتوكل عليه وإفراده بالخوف والرجاء من أعظم الأسباب التي يدفع بها الشر المتطير به . وسر هذا أن الطيرة إنما تتضمن الشرك بالله تعالى والخوف من غيره وعدم التوكل عليه والثقة به ، فكان صاحبها غرضا لسهام الشر والبلاء فيتسرع نفوذها فيه لأنه لم يتدرع من التوحيد والتوكل بجُنَّة واقية وكل من خاف شيئا غير الله سلط عليه كما أن من أحب مع الله غيره عُذِّب به ومن رجا مع الله غيره خُذِل من جهته وهذه أمور تجربتها تكفي عن أدلتها ، والنفس قد تضعف و تتطير ولكن المؤمن القوي الإيمان يدفع موجب تطيره بالتوكل على الله فإن من توكل على الله وحده كفاه من غيره،**

---

(١) رواه البخاري برقم (٥٧٧٢) .

قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴾[1] ،

ولهذا قال ابن مسعود ﷺ: (وما منا إلا يعني من يقارب التطير ولكن الله يذهبه بالتوكل) ... قالوا فالشؤم الذي في الدار والمرأة والفرس قد يكون مخصوصا بمن تشاءم بها وتطير وأما من توكل على الله وخافه وحده ولم يتطير ولم يتشاءم فإن الفرس والمرأة والدار لا تكون شؤما في حقه) .

ثم قال : (فمن اعتقد أن رسول الله ﷺ نسب الطيرة والشؤم إلى شيء من الأشياء على سبيل أنه مؤثر بذاته دون الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله وضل ضلالا بعيدا .. وبالجملة فإخباره بالشؤم أنه يكون في هذه الثلاثة ليس فيه إثبات الطيرة التي نفاها ، وإنما غايته أن الله سبحانه قد يخلق منها أعيانا مشؤومة على من قاربها وسكنها وأعيانا مباركة لا يلحق من قاربها منها شؤم ولا شر، وهذا كما يعطي سبحانه الوالدين ولدا مباركا يريان الخير على وجهه ويعطى غيرهما ولدا مشؤوما نذلا يريان الشر على وجهه ، وكذلك ما يعطاه العبد ولاية أو غيرها فكذلك الدار والمرأة والفرس ، والله سبحانه خالق الخير

(١) سورة النحل ، الآيات (٩٨ – ١٠٠) .

والشر والسعود والنحوس فيخلق بعض هذه الأعيان سعودا مباركة ويقضى سعادة من قارنها وحصول اليمن له والبركة ويخلق بعض ذلك نحوسا يتنحس بها من قارنها وكل ذلك بقضائه وقدره ، كما خلق سائر الأسباب وربطها بمسبباتها المتضادة والمختلفة فكما خلق المسك وغيره من حامل الأرواح الطيبة ولذذ بها من قارنها من الناس وخلق ضدها وجعلها سببا لإيذاء من قارنها من الناس والفرق بين هذين النوعين يدرك بالحس فكذلك في الديار والنساء والخيل فهذا لون والطيرة الشركية لون آخر)[1] .

(فالمعنى أن هذه الثلاثة هي أكثر ما يكون مرافقة للإنسان . المرأة زوجُه ، والدار بيته ، والفرس مركوبه ، وهذه الأشياء الثلاثة أحياناً يكون فيها شؤم ، فأحياناً يتزوج الرجل امرأة ولا يجد إلا النكد والتعب منها ومن مشاكلها. وأيضاً ينزل الدار فيكون فيها شؤم فيضيق صدره ولا يتسع ويمل منها، و أيضاً الفرس ، والفرس الآن ليس مركوبنا ولكن مركوبنا السيارات ، فبعضها يكون فيها شؤم تكثر حوادثها، و تتعطل كثيراً ، ويسأم الإنسان منها ، فإذا أصيب الإنسان بمثل هذا فليستعذ بالله من الشيطان

---

(١) مفتاح دار السعادة ، ابن القيم رحمه الله ، (٢/٢٥٧) .

الرجيم وليقل : اللهم لا خير إلا خيرك ولا طير إلا طيرك ولا إله غيرك ، فيزيل الله ما في نفسه من الشؤم)[١] .



(١) شرح رياض الصالحين ، ابن عثيمين رحمه الله ،(٦/٤١٦).

لماذا الحديث عن التفاؤل

تمرين: قبل أن أبدأ بالحديث عن : (لماذا أكون متفائلاً) لنكتب (٥) خمسة أسباب تجعلنا متفائلين ؟

١)

٢)

٣)

٤)

٥)

- **في التفاؤل اقتداءٌ بالسنة المطهرة وأخذ بالأسوة الحسنة حيث كان المصطفى ﷺ يتفاءل في حروبه وغزواته[1]. وكان النبي ﷺ يعجبه التفاؤل فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : ((كان النبي ﷺ يُعجبهُ الفأل الحسن ، ويكره الطيرة))[2].**
- **لأن المتفائل يحسن الظنَّ بالله، والله عز وجلّ بيده مقادير الأمور، يقول الحليمي : (كان النبي صلى الله عليه وسلم يعجبه الفأل ؛ لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال)[3].**

---

(١) وسأبين ذلك بالأمثلة في الصفحات التالية.

(٢) ابن ماجه (٣٥٣٦) وفي الزوائد : إسناده صحيح ورجاله ثقات .

(٣) فتح الباري (٢٢٦/١٠).

- **أن التفاؤل يعين على تحسين الصحة العقلية؛ فالمتفائل يرى الأشياء كما هي جميلة؛ فيفكر باعتدال ويبحث عن الحلول ويحصد الأرباح والمكاسب بعيداً عن سيطرة الوهم والخوف والتشاؤم[1] .**
- **التفاؤل يعين على تحسين الصحة النفسية؛ فالمتفائل مشرق الوجه سعيد يأكل ويشرب وينام ويستمتع ويسافر ويشاهد ويسمع ويبتسم ويضحك وَيجِدُّ دون أن يمنعه من ذلك شعور عابر من الخوف أو التشاؤم.**

---

(١) وهناك تقرير في THE Harvard Mental Health Letter يؤكد معتقدنا وملاحظاتنا النفسية التي تفيد بأن التفاؤل عامل أساسي في تحقيق الصحة العقلية ، وينص هذا التقرير على أن الطبيبين النفسيين د. دافيد مايرز ، د. إدوارد داينر وجدا أن هناك أربع خصال تميز الأشخاص السعداء ، وهي أنهم :

- يُكِنون لأنفسهم كل التبجيل والإحترام .
- يشعرون بأنهم قادرون على السيطرة على مجريات حياتهم .
- متفائلون .
- يتصرفون على نحو منبسط واجتماعي .

وجد د. مارتين سليجمان – وهو باحث رائد في دراسة التفاؤل ، فضلاً على أنه أستاذ علم النفس بجامعة بنسلفانيا – أثناء تلخيصه لما توصل إليه من نتائج عن التشاؤم –نقيض التفاؤل – أنه يؤدي إلى :

- الاكتئاب .
- القلق والتوتر .
- القنوط وفقدان الأمل .
- الإحباط والانتكاس .

وقد ضُرِب مثال لمعرفة المتشائم من المتفائل:

لو عرض نصف كوب من الماء على المتفائل والمتشائم لقال المتفائل : "**هذا نصف كوب ممتلئ بالماء**"، والمتشائم سيقول عنه : "**إنه نصف كوب فارغ من الماء**"، فالمتشائم معقود الجبين ، ضيق الصدر ، ليس عنده أمل ولا رجاء ولا فرج ، ويرى أن الليل سوف يبقى ، وقاموسه قد امتلأ بالفشل والمرض والموت والإحباط .

- التفاؤل يعين على تحسين الصحة البدنية؛ فإن النفس تؤثر على الجسد وربما أصبح الإنسان عليلاً من غير علة ويتوقع الأسوأ في كل حال ونفسه مسكونة بهواجس القلق والتشاؤم.
- التفاؤل يقاوم المرض وقد ثبت طبياً أيضاً أن الذين يعيشون تفاؤلاً هم أقدر من غيرهم على تجاوز الأمراض وحتى الأمراض الخطيرة فلديهم قدرة غريبة على تجاوزها والاستجابة لمحاولات الشفاء كما أنه يعيش مدةً أطول.

وقد أثبتت الدراسات أن المُعَمَّرين عادةً هم المتفائلون في حياتهم ، وفي نادٍ أقيم في كوبا حضره عدد من المُعَمَّرين الذين تجاوزت أعمارهم مائة وعشرين سنة؛ تبين أن هؤلاء جميعاً تلقوا الحياة بقدر من التفاؤل.

أَيُّهَذا الشاكي وما بك داء كن جميلاً تر الوجود جميلا

- التفاؤل يدفع الإنسان لتجاوز المحن، ويحفزه للعمل، ويورثه طمأنينة النفس وراحة القلب.
- المتفائل يفسر الأزمات تفسيراً إيجابياً ، بينما المتشائم واليائس والغير متفائل يميل إلى التفكير بالطريقة السيئة .
- المتفائل يتحدث بطريقة متفائلة وينظر إلى الجانب المشرق من المصيبة ويتلمح أجرها وأنها أسهل من غيرها، بينما المتشائم واليائس يتحدث بلغة الجانب المظلم حديثاً ناقداً متشائماً ولا يدفعه يأسه للعمل فلا يقف ضرره على نفسه ، فحديثه مع الآخرين : لا أمل.
- المتفائلون يتحلون بالمسؤولية الذاتية .
- المتفائل يرى فرصة في كل صعوبة ، والمتشائم يرى صعوبة في كل فرصة .
- أن المتفائل يمتلك رؤية واضحة عن حياة مثيرة هادفة و يضع الأهداف الواضحة ويقود صاحبه للنجاح دائماً، يقول ستيفن كوفي في كتابه إدارة الأولويات : (**ويمكن القول بأن الواقع أثبت أن الأفراد والمنظمات التي تضع أهدافاً واضحةً للوصول إليها تحقق نتائج أفضل ، وأنَّ الواقع يثبت أيضاً أن القادرين على وضع الأهداف والقادرين على الوصول إليها يحققون ما يحلمون بالوصول إليه**).

كان الشيخ أقشمس الدين الذي تولى تربية السلطان محمد الفاتح العثماني – رحمه الله – يأخذ السلطان محمد بيده ويمر به على الساحل، ويشير إلى أسوار القسطنطينية التي تلوح في الأفق من بعيد شاهقة حصينة، ثم يقول له: أترى هذه المدينة التي تلوح في الأفق؟ إنها القسطنطينية، وقد أخبرنا الرسول ﷺ أنَّ رجلاً من أمته سيفتحها بجيشه، ويضمها إلى أمة التوحيد، قال ﷺ فيما روي عنه: ((**لتفتحن القسطنطينية ولنعم الأمير أميرها ولنعم الجيش ذلك الجيش**))[1].

ومازال الشيخ بالصبي يريه المدينة ويكرر على مسامعه ذلك الحديث الشريف ويشعره ببهجة النصر وعزة الفتح ويزرع التفاؤل في نفسه، حتى نَمَتْ همة الأمير الصبي وترعرعت في قلبه، فعقد العزم على أن يجتهد ليكون هو ذلك الفاتح الذي بشَّر به النبي ﷺ.

وكان والده السلطان مراد الثاني يصطحبه معه وهو صغير إلى بعض المعارك، ليعتاد مشاهدة الحرب والطعان ومناظر الجنود في تحركاتهم واستعداداتهم ونزالهم، وليتعلم قيادة الجيش وفنون القتال عملياً، حتى إذا ما ولِّي السلطنة وخاض غمار المعارك، خاضها عن دراية وخبرة.

---

(١) التاريخ الكبير للبخاري، (٨١/٢)، وقد ضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (٢٦٨/٢).

ولما شرع السلطان محمد الفاتح في مفاوضة الإمبراطور قسطنطين ليسلمه القسطنطينية ، فلما بلغه رفض الإمبراطور تسليم المدينة ، قال – رحمه الله – : حسناً .. عن قريب سيكون لي في القسطنطينية عرش أو يكون لي فيها قبر .

حاصر السلطان محمد القسطنطينية (٥١) يوماً ، تعددت خلالها المعارك العنيفة ، وبعدها سقطت المدينة الحصينة التي استعصت على الفاتحين قبله ، سقطت على يدي بطل شاب له من العمر ٢٣ سنة[1] .

- أن المتفاءل داخل في نسيج التفكير الإيجابي .

كل ما سبق من النقاط كانت السبب في اختياري لمادة هذا الكتاب .



(١) كيف أصبحوا عظماء ، د. سعد سعود الكريباني ، ص ٢٤ ، بتصرف .

تفاؤل الرسول صلى الله عليه وسلم :

لقد كان التفاؤل من الصفات النبيلة والخصال الحميدة التي حبا الله بها نبيه الكريم ورسوله العظيم ، إذ كان ﷺ متفائلاً في كل أموره وأحواله، في حلّه وترحاله، في حربه وسلمه، في جوعه وعطشه ، ومن ذلك :

- ما بلي به النبي ﷺ من أصناف الأذى الحسي والمعنوي ، ومع ما داخله من الحزن ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴾[1]، ﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكُۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقُۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾[2] ، و مع ذلك كله كان ﷺ أقوى الناس عزيمةً ، وأكثرهم تفاؤلاً[3] ؛ فعن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت : (كان النبي ﷺ يعجبه الفأل الحسن)[4] ، وكان ﷺ يحذر من القنوط واليأس امتثالاً لتحذير الله تعالى ﴿ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[5]، ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ﴾[6].

---

(١) سورة الحجر ، آية (٩٧) .

(٢) سورة هود ، آية (١٢) .

(٣) سلسلة خطب المنبر (٦) ، د. عبد العزيز السدحان ، ص ٢٤١ .

(٤) أخرجه ابن ماجه (٣٥٣٦) ، وانظر صحيح البخاري (٥٧٥٤) و صحيح مسلم (٢٢٢٠) .

(٥) سورة الحجر ، آية (٥٦) .

(٦) سورة يوسف ، آية (٨٧) .

- بل لقد كان النبي ﷺ يزرع التفاؤل في نفوس أصحابه ومن تلك المواقف ما زرعه ﷺ في نفس ابي بكر الصديق رضي الله عنه وهما في طريق الهجرة وهما في الغار، وما حصل لهما ، والكفار على باب الغار يطاردونه وقد أعمى الله أبصارهم فعن أنس عن أبي بكر رضي الله عنهما قال : ((**كنت مع النبي ﷺ في الغار، فرفعت رأسي، فإذا أنا بأقدام القوم، فقلت: يا نبي الله لو أن بعضهم طأطأ بصره رآنا، قال: اسكت يا أبا بكر، اثنان الله ثالثهما**))[1].
- وفي حادثة الهجرة أخذ النبي ﷺ بالأسباب الظاهرة واختبأ هو وصاحبه في الغار ثم انصرف، وجاء رجل يتحدث وسراقة مع طائفة من قومه فقال رأيت هاهنا سواداً وأظنه محمداً وصاحبه، ففطن سراقة حين ذلك وعلم أنه هو النبي ﷺ فقال إنه فلان وفلان يريد أن يصرف الناس عن ذلك، وأمر أهله أن يجهزوا له فرسه من خلف الدار وانصرف وركب فرسه ثم لحق النبي ﷺ حتى اقترب منهما فقال أبو بكر رضي الله عنه هذا سراقة قد أدركنا . و الذي يقرأ الحدث الآن ويعيشه يضطرب فالمتبادر للذهن أنه خطر محقق، ولهذا أصاب أبا بكر رضي الله عنه القلق والخوف على النبي ﷺ وحق

---
(١) متفق عليه.

له ذلك، أما النبي ﷺ فكان يقول : ما ظنك باثين الله ثالثهما، فخارت قوائم فرس سراقة بعد أن دعا عليه النبي ﷺ ثم لم ييأس وحاول مرة ثانية وثالثة حتى عرف سراقة أن الرسول ﷺ محفوظ بحفظ الله، فلما انصرف سراقة كان كل من لقيه يقول قد كفيتم ما هاهنا، فلننظر كيف تحولت الصورة وانقلبت، ولهذا قال الراوي: كان أول النهار طالباً لهما وفي آخر النهار صاداً عنهما.

- والتفاؤل كان من هدي الرسول عليه الصلاة والسلام، ففِي حَدِيث أَنَس عِنْد التِّرْمِذِيّ وَصَحَّحَهُ أَنَّ النَّبِيّ ﷺ كَانَ إِذَا خَرَجَ لِحَاجَةٍ يُعْجِبهُ أَنْ يَسْمَع: يَا نَجِيح يَا رَاشِد. وَكَانَ عليه الصلاة والسلام إِذَا بَعَثَ عَامِلاً يَسْأَل عَنْ اِسْمه، فَإِذَا أَعْجَبَهُ فَرِحَ بِهِ، وَإِنْ كَرِهَ اِسْمه رُئِيَ كَرَاهَة ذَلِكَ فِي وَجْهه.

وَكان النَّبِيُّ ﷺ يستبشر بالخير عند سماع الأسماء كما في يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ عندما طَلَعَ سُهَيْلُ بْنُ عُمَرو، فقال رسول الله ﷺ: ((**سُهِّلَ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ**))، فكَانَ كَمَا قَالَ عليه الصلاة والسلام، مع أن قريش أرسلت قبله سيد الأحابيش للتفاوض مع النبي ﷺ فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه قال رسول الله ﷺ : هذا فلان ، وهو من قوم

يعظمون البدن[1] ، فابعثوها له ، فبعثت له ، واستقبله الناس يلبون ، فلما رأى ذلك ، قال : سبحان الله ، ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت ، فلما رجع إلى أصحابه قال : رأيت البدن قد قلدت وأشعرت ، فما أرى أن يصدوا عن البيت، فقالوا له : اجلس فإنما أنت أعرابي لا علم لك .

ثم بعثت قريش رجلاً منهم يقال له مكرز بن حفص ، فلما أشرف على النبي ﷺ ، قال النبي ﷺ : هذا مكرز وهو رجل فاجر[2] .

- ومن نماذج تفاؤله ﷺ ما قالته أمنا عائشة – رضي الله عنها – للنبي ﷺ : هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ قال: ((لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب، فرفعت رأسي فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك، وقد بعث الله إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم. فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: يا محمد فقال ذلك فيما

(١) ما يذبح لله في النسك من الإبل أو البقر .

(٢) أخرجه البخاري ، (٤١٧٨) .

شئت إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين. فقال النبي ﷺ: بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً))[1].

- ومنها تفاؤله ﷺ بالنصر في غزوة بدر، وإخباره ﷺ بمصرع رؤوس الكفر وصناديد قريش، مع أن المعادلة العسكرية غير متكافئة فقريش كان عددها ألفاً ، وعدد المسلمين ثلاث مئة وبضعة عشر رجلاً ، وما كان معهم إلا فرسان، وكل ثلاثة على بعير، وكان الرسول ﷺ والصحابة يقطعون المسافات مشياً ، رغم الفقر والحفاء والعوز ، ومع هذا كله يقول النبي ﷺ : **((سيروا على بركة الله وأبشروا فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين.. والله لكأني أنظر الآن إلى مصارع القوم غداً))**[2].

تفاؤل النبي ﷺ بالنصر في غزوة بدر

- ومنها تفاؤله ﷺ عند حفر الخندق حول المدينة، وذكره لمدائن كسرى وقيصر والحبشة، والتبشير بفتحها وسيادة المسلمين عليها، فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : احتفر رسول الله ﷺ الخندق وأصحابه قد شدوا الحجارة على بطونهم من الجوع ثم مشوا إلى الخندق فقال : **((اذهبوا بنا إلى سلمان))** وإذا صخرة بين يديه

التفاؤل عند حفر الخندق

(١) البخاري (١١٨٠/٣)رقم (٣٠٥٩) وغيره.

(٢) السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة ، (٧٣/١) .

قد ضعف عنها ، فقال النبي ﷺ لأصحابه : ((**دعوني فأكون أول من ضربها**)) فقال : ((**بسم الله**)) فضربها فوقعت فلقة ثلثها فقال : ((**الله أكبر قصور الروم ورب الكعبة**)) ثم ضرب أخرى فوقعت فلقة ، فقال : ((**الله أكبر قصور فارس ورب الكعبة**)) فقال المنافقون : (**نحن بخندق وهو يعدنا قصور فارس والروم**)[1].

وروى الإمام أحمد في مسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: ((**فأخذ المعول فقال : بسم الله ، فضرب ضَربةً فكسر ثُلث الحجر ، وقال الله أكبر أُعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قُصورها الحمر من مكاني هذا ، ثم قال : بسم الله وضرب أخرى فكسر ثُلث الحجر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح فارس والله إني لأبصر المدائن وأبصر قصرها الأبيض ، من مكاني هذا ، ثم قال : بسم الله وضَرب أُخرى فقلع بقية الحجر فقال : الله أكبر أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا**))[2].

يقول النبي ﷺ ذلك في قلب المحنة وشدة الهول ، ولنتأمل قول أم سلمة رضي الله عنها وهي تصور الحال

---

(١) مجمع الزوائد (١٣١/٧- ١٣٢) للهيثمي ، وقال : رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عبد الرحمن بن أحمد بن حنبل ، ونعيم العنبري وهما ثقتان .

(٢) فتح الباري لابن حجر (٣٩٨/٨- ٣٩٩) وحسن إسنادها ، الفتح الرباني (٧٨/٢١).

قالت : شهدت معه مشاهد فيها قتال وخوف – المريسيع وخيبر ، وكنا بالحديبية وفي الفتح وحنين – لم يكن من ذلك أتعب لرسول الله ﷺ ولا أخوف عندنا من الخندق ، وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة[1]، وأن قريظة لا نأمنها على الذراري فالمدينة تحرس حتى الصباح ، نسمع تكبير المسلمين فيها حتى يصبحوا خوفاً ، ولنتأمل قوله تعالى وهو يصور حالة الموقف :

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا (٩) إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ (١٠) هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴾[2] .

كانت نتيجة التفاؤل التي زرعها النبي ﷺ في نفوس المؤمنين ﴿ وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا (٢٢) مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِۖ فَمِنۡهُم مَّن قَضَىٰ نَحۡبَهُۥ وَمِنۡهُم مَّن يَنتَظِرُۖ وَمَا بَدَّلُواْ تَبۡدِيلٗا ﴾[3] أي أنهم في قمة التحدي واليقين بنصر

(١) الحرجة : المكان الضيق الكثير الشجر .

(٢) سورة الأحزاب ، الآيات (٩ – ١١) .

(٣) سورة الأحزاب ، الآيات (٢٢ – ٢٣) .

الله ، أما المنافقون الذين أصابهم الخوف ، واقتلع قلوبهم الرعب ، فقال الله تعالى عنهم : ﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾[1]، وقالوا : **(إن محمداً يعدنا بكنوز كسرى وقيصر ، ولا يأمن أحدنا أن يخرج إلى حاجته ، أو لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط)**[2].

كانت النتيجة بعد هذا الجمع الكبير الذي بلغ عدده عشرة آلاف من المشركين قوله ﷺ : **((الآن نغزوهم ولا يغزوننا ، نحن نسير إليهم))**[3]، وردهم الله بغيظهم لم ينالوا خيراً .

- ومنها تفاؤله ﷺ بشفاء المريض وزوال وجعه بمسحه عليه بيده اليمنى وقوله: **((لا بأس طهور إن شاء الله))**[4].

- ويبشّر الرسول ﷺ عديّ بن حاتم بمستقبل عظيم متفائلاً لهذا الدين فيقول: **((لعلّك . يا عديّ . إنما يمنعك من الدخول في هذا الدين ما ترى من حاجتهم، فوالله ليوشكنّ المال أن يفيض فيهم حتى لا يوجد من**

(١) سورة الأحزاب ، آية (١٢) .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٢٢٢/٢) .

(٣) أخرجه البخاري ، فتح الباري لابن حجر (٤٠٥/٧) .

(٤) رواه البخاري ، رقم (٥٦٦٢).

يأخذه، ولعلّك إنما يمنعك من الدخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلّة عددهم، فوالله ليوشكنّ أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها حتى تزور البيت لا تخاف، ولعلك إنما يمنعك من دخول فيه أنك ترى الملك والسلطان في غيرهم، وايمُ الله ليوشكنّ أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم))[1]، قال عديّ: فأسلمت.

- ومن تفاؤله عليه الصلاة والسلام أنه كان يتفاءل باللغة وألفاظها الجميلة؛ جاء إلى المدينة وهم يسمونها يثرب وهو اسم لا يخلو من إيحاءات سلبية؛ فسماها النبي ﷺ " طابة" أو "طيبة" من الطيب والخير.

وكذلك غيَّر ﷺ بعض أسماء الرجال أو النساء لقبح أسمائهم، وأبدلهم بأسماء جديدة، فقد غير اسم إحدى الصحابيات من "عاصية" إلى "جميلة"[2]، وغير اسم الصحابي "حَزْن" إلى "سهل"[3].

- وكذلك قيام النبي ﷺ بأفعال تدل على تفاؤله ففي خبر مَقْدَمِه — عليه الصلاة والسلام — للمدينة مهاجراً أنه ((**نَزَلَ فِي عُلْوِ الْمَدِينَةِ، فِي حَيٍّ يُقَالُ لَهُمْ:**

(١) البداية والنهاية ، (٥/٥٧) .

(٢) صحيح مسلم .

(٣) صحيح البخاري، (٦١٩٠) .

بَنُو عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ)) كما في البخاري عن أَنَس بْن مَالِكٍ – رضي الله عنه – . وهذا تفاؤل له ولدينه بالعلو[1].

- وعن أنَسٍ – رضي الله عنه – : أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلاً وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْمًا بِلَيْلٍ لَمْ يُغِرْ بِهِمْ حَتَّى يُصْبِحَ؛ فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتْ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ وَمَكَاتِلِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُ قَالُوا: "**مُحَمَّدٌ وَاللَّهِ، مُحَمَّدٌ وَالْخَمِيسُ**" – يعني الجيش – **فَقَالَ النَّبِيُّ** ﷺ : ((**خَرِبَتْ خَيْبَرُ؛ إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ**))[2]. ولننظر لدقة الفهم، وعمق الإستنباط في قول السهيلي – رحمه الله – : يؤخذ من هذا الحديث التفاؤل؛ لأنه ﷺ لما رأى آلات الهدم، مع أن لفظ المِسحاة من سَحَوْت إذا قَشَرْت أَخذ منه أن مدينتهم ستَخرب[3].

- وجاء بعض الصحابة الكرام إلى النبي ﷺ في صدر الإسلام، وهو متوسد بردة له في ظل الكعبة، يستنصرونه، ويشكون إليه الحال، وقد كانوا في فترة يُضربون فيها، ويُجوَّعون، ويُعطشون، حتى ما يقدر أحدهم أن يستوي جالساً من شدة الضر، فأنكر النبي

---

(١) فتح الباري/كتاب مناقب الأنصار.

(٢) رواه البخاري.

(٣) فتح الباري/كتاب المغازي.



ﷺ عليهم استعجالهم الفرج ، ووجَّههم بقوله : ((**كان الرجل فيمن قبلكم ، يُحفَر له في الأرض ، فيُجعَل فيه ، فيُجاء بالمنشار ، فيوضعَ على رأسه ، فيُشَق باثنتين ، وما يصده ذلك عن دينه . ويُمشط بأمشاط الحديد ما دون لحمه من عظم أو عصب ، وما يصده ذلك عن دينه . والله ليُتِمَّن هذا الأمر ، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت ، لا يخاف إلا الله أو الذئب على غنمه ، ولكنكم تستعجلون**))[١] .

- وفي أوقات الأزمات والشدائد تعظم الحاجة لاستحضار الفأل الحسن، فقد كان ﷺ إذا استسقى بالناس قلب رداءه بعد الخطبة ((**ثم حوَّل إلى الناس ظهره**)) .
- ومن تفاؤله ﷺ نهيه عن الأسباب التي تؤدي للتشاؤم والاكتئاب كلطم الخدود ، وشق الجيوب والتلفظ بتمني الموت أو الانتحار أو الاعتراض على القدر ولذلك قال ﷺ: ((**ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية**))[٢]، وقال ﷺ : ((**لا يتمنين أحدكم الموت لضر نزل به فإن كان لابد متمنياً فليقل : اللهم أحييني ما كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت**

---
(١) صحيح البخاري (٦٩٤٣).
(٢) رواه البخاري (٨٢/٢) .

الوفاة خيراً لي))[1]، **وقد قال خباب** رضي الله عنه **في حديث البخاري : (لولا أن الرسول** ﷺ **نهانا أن ندعو بالموت لدعوت به)، وقال سبحانه :** ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴾[2]، **وفي الصحيحين ما جاء عن النبي** ﷺ **أنه قال : ((من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالداً مُخَلَّداً فيها أبداً ، ومن شرب سُمَّاً فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالّداً مُخَلَّداً فيها أبداً ، ومن تردى من جبل فقتل نفسه يتردى في نار جهنم خالداً مُخَلَّداً فيها أبداً)).**

كل ذلك وغيره وغيره كثير، مما يدل على تحلّيه صلى الله عليه وسلم بهذه الصفة الكريمة، وإنما أوردت نماذج فقط لئلا أطيل في حديثي .



(١) رواه البخاري (١٠/١٥٥) .

(٢) سورة النساء ، آية (٢٩) .



تقنيات / مهارات التفاؤل:

هل أنت متفائل أم متشائم ؟

كيف تصبح متفائلاً ؟

(إن الشعور بالإحباط وانسداد الآفاق لا يحتاج إلى تحريض ولا تنشيط ؛ فهو يجتاح النفس البشرية بصورة آلية نتيجة سوء الأحوال والانكسارات اليومية التي تصادف المسلم هذه الأيام .

لكن الذي يحتاج إلى معالجة وتوجيه هو الشعور بالتفاؤل وتحسن الأوضاع؛ إذ إننا لن نكسب من وراء اليأس إلا انحسار الذات وخمود النشاط وارتباك الوعي ... ومن المهم في الظروف الصعبة أن تستخرج الإيجابيات وخمائر الإصلاح والصلاح، أما تعداد السلبيات فهذا يستطيعه كل أحد)[1].

إذا فكرنا (**أننا في خطر**) فإننا سنشعر بالقلق ، وإذا فكرنا (**أننا تعرضنا للخسارة**) فسوف نشعر بالحزن وإذا كنا ممن ييأسون ويحبطون بسهولة فإننا سنقوم بإنجاز عملنا بنحو أقل مما يمكننا إنجازه ، وستكون صحتنا ليست على ما يرام ، وربما يزداد الأمر سوءا إذا تقدم بنا العمر، وإذا كنا من المتفائلين فإن الفشل لا يصيبنا سوى بانخفاض قصير المدى للروح المعنوية ، فلا يوجد شيء اسمه نجاح دائم

---

(١) مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ، أ.د.عبد الكريم بكار ، ص ٣٢.

أو فشل دائم لذا فكيف نكون متفائلين؟ وكيف نكون نحن أنموذجاً يحتذى بنا للشخص المتفائل ؟ .

في هذا الموضوع سنتعلم (٢٨) تقنية / مهارة تجعلنا نشعر بالتفاؤل من تلقاء أنفسنا بإذن الله تعالى وبتجربتنا لها سنتعلم أننا أكثر تفاؤلاً من قبل وقبل أن نبدأ سوياً في تعلمها وتطبيقها لا بد أن يكون لدينا مبدأ: (**أنني في النهاية سأكون متفائلاً بإذن الله تعالى**).

والآن لنُلْقِ الضوء على التقنيات / المهارات لصناعة التفاؤل في نفوسنا .

- **إدراك أن كل ما أمرنا الله عز وجل به فهو مما نطيق فعله وهو علينا يسير ولذا فالجميع قادرون على صناعة التفاؤل[1] .**

وصناعة التفاؤل الحقيقي تبدأ من الداخل قال ﷺ: ((**إنما العلم بالتعلم ، و الحلم بالتحلم**))[2] ، وعن الحسن البصري – رحمه الله - قال: (**إذا لم تكن حليمًا فَتَحَلَّم، وإذا لم تكن عالمًا فتعلم، فقلما تشبه رجل بقوم إلا كان منهم**).

وقال الغزالي (المتوفى عام ٥٠٥هـ) – رحمه الله – في كتابه «إحياء علوم الدين»: (**.. من أحب شيئًا أكثر من ذكره، ومَن أكثرَ ذكرَ شيء وإن كان تكلّفًا أحبه، ولا يصدر الأنس إلا من المداومة على المكابدة والتكلّف مدة طويلة حتى يصير التكلف طبعًا. وقد يتكلف الإنسان تناول طعام يستبشعه أولاً، ويكابد أكله، ويواظب عليه، فيصير موافقاً لطبعه حتى لا يصبر عنه، فالنفس معتادة متحملة لما تتكلف...**).

فوجود قناعة لدينا بضرورة التغيير لنصبح متفائلين، شرط مهم للغاية، وقبلها الرغبة؛ لأن الرغبات الضعيفة

(١) يكون الأطفال قبل مرحلة البلوغ متفائلين ، ولديهم القدرة على التفاؤل ومجابهة اليأس ، حيث لن تبقى لديهم تلك القدرة بعد البلوغ ، عندما يفقدون الكثير من تفاؤلهم. [تعلم التفاؤل ، د. مارتين سليجمان ، ص ٢٠٨].

(٢) السلسلة الصحيحة للألباني رحمه الله تعالى ، (٣٤٢) .

تعطي نتائج ضعيفة فقد يطلب منا الآخرون التغيير، ولكن لن يجبرنا أحد على التغيير ، ومن لا يتغيير من الداخل، لا يتغيير أبداً، كما أن الناس قادرون على تغيير طباعهم السيئة، حيث تشير الإحصائيات إلى أن نسبة من يقومون بتغيير أوضاعهم وسلوكياتهم للأفضل هم ٣٪ فقط وأما بقية الـ ٩٧٪ فهم من أهل الشكاية[١] .

ولنكن على ثقة تامة بالله أننا نملك خزائن كثيرة ومستودعات كبيرة بها من القدرات والطاقات والمواهب ما يؤهلنا أن نصنع الكثير، ولكن معظم الناس يفضلون الاستقرار على التغيير .

ولا أبالغ إذا قلت: أن كثيرين ممن حولنا يعيشون إحباطاً كبيراً إلى درجة أنهم قد حكموا على أنفسهم بالفشل، لأنهم يرفضون التغيير[٢] .

فقد عشت سنوات طويلة في دور الملاحظة الاجتماعية ، وفي دور الأيتام ، ودور التوجيه الاجتماعية ، وقابلت مئاتٍ بل آلافاً من نزلاء الإصلاحيات ، وتحدثت مع كثير من الشباب ، وكثير منهم يرفض التغيير ويعيش في أجواء مظلمة يرفض أن يرى ضوء الشمس ونور القمر .

---

(١) افعل شيئاً مختلفاً ، عبد الله علي آل عبد الغني ، تقديم : د. طارق السويدان ، ص ١٦.

(٢) المشكلة هنا هي أن العادات السيئة عصية على التغيير . أما العادات الحسنة فهي تتغير تلقائياً إلى الأحسن.



بل حتى عندما كنت أقدم الاستشارات للآباء والأمهات في تعاملهم مع أبنائهم – المراهقين منهم خاصة – كنت ألمس أنهم يريدون العصا السحرية والتي تنقل أبناءهم من محبطين إلى متفائلين ويرفضون تغيير أنفسهم ابتداء .



- **للعقيدة أثر كبير في جعلنا متفائلين وفي الوقاية من الاكتئاب كما أن لها أثرا على مشاعر الإنسان وسلوكه ، فعقيدتنا نحن المسلمين في القضاء والقدر تمنعنا من الحزن الشديد .**

ففي الحديث الصحيح الذي رواه الترمذي رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : (**واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك**)[1] ، **وعندما يعلم الإنسان أن الأمور مفروغ منها ومكتوبة،لا يحزن، فالله تعالى يقول:**﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٢٢ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴾[2]، **وقال تعالى :**﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾[3] .

والذي يؤمن بأن الله حكيم لا يُقدر شيئاً إلاّ لحكمة — سواء أدركها الإنسان ذو العقل القاصر أم لم يدركها — فإنه يتقبل الأحداث ويعلم أن فيها خيراً له ، ومن ذلك

---

(١) صحيح سنن الترمذي للألباني (٢/٣٠٨).

(٢) سورة الحديد ، الآيات (٢٢ و ٢٣) .

(٣) سورة التغابن ، آية (١١).

قصة الخضر مع موسى عليه السلام ، والتي ذُكرت في سورة الكهف ، ففي هذه القصة جرى ضمن أحداثها أن قَتَلَ الخضر غُلاماً فتعجب موسى عليه السلام ، وأنكر عليه قائلاً :﴿ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ﴾[1] فبين له الخضر لاحقاً السبب :﴿ وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا ﴿٨٠﴾ فَأَرَدْنَا أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ﴾[2] .

فالذي ظهر لموسى أن قتل الغلام كان مصيبة من المصائب – وقد يكون هذا ظهر للأبوين أيضاً – بينما الحقيقة أن الله أنزل رحمته على الأبوين ؛ لأنهما مؤمنين يحبهما الله تعالى ، فعلم سبحانه ما هو خير لهما فقدر قتل الغلام .



(١) سورة الكهف ، الآية (٧٤) .

(٢) سورة الكهف ، الآيات (٨٠ وَ ٨١) .

- **كن واثقا بالله تعالى أولا ثم ابذل جهدك .**

ولنستلهم المعونة والتوفيق من الله سبحانه وتعالى دائماً ، فالثقة هي الجسر الذي يربط التوقعات بالأداء والاستثمار بالنتائج .

عندما يتخذ الأداء طريقاً إيجابياً أو سلبياً . يصعب الوقوف في وجه تياره فيستمر في اندفاعه . ومن هنا نستطيع التنبؤ أو توقع حدوث مشكلات في العمل . وحتى المرضى على أسرتهم ، نستطيع أن نتوقع احتمالات شفائهم أو هلاكهم من خلال مستويات الثقة التي يتمتعون بها ، إذ ندرك بجلاء أن شفاء المريض من عدمه يعتمد في معظم الأحيان على حالته النفسية .

وتنشأ الثقة من مجموعة من التوقعات الإيجابية لتحقيق نتائج إيجابية.





♦ **حتى نكون متفائلين لنكن أصحاب رؤية واضحة .**

عندما نفكر في أشخاص نعرفهم يشعرون بالاكتئاب والتشاؤم أو التطير ، فسنجد أنهم أناس يعيشون بدون رؤية واضحة لحياتهم ، أي أنهم لا يعرفون ما يريدونه بالضبط، بينما الأشخاص الذين يعيشون رؤاهم ويحولون رؤاهم إلى أهداف نجدهم يشعرون بقدر كبير من التفاؤل .

وكلما كان طموحنا أكبر ، زاد التزامنا وسعينا لتحقيقه . الرؤية الحقيقية تكون متطورة ونامية ، وقابلة للارتقاء والامتداد لتلاحق طموحنا ، دون أن تصل إلى نهاية مغلقة .

ولنعلم أن هناك أناساً سيحاولون إقناعنا بالتخلي عن رؤانا ، وبأنه من غير الممكن تحقيق تلك الرؤية ، وسيكون هناك آخرون يضحكون منا ، ويحاولون النزول بنا إلى مستواهم . مونتي روبرتس يسمي هؤلاء الناس " سارقوا الأحلام " فلا تنصت إليهم .

(فعندما كان مونتي طالباً في المدرسة العليا، أعطى المدرس طلاب الصف مهمة الكتابة عما يرغبون عندما يكبرون . كتب مونتي أنه يرغب في امتلاك مزرعة على مساحة هائلة من الأرض يربي فيها العديد من خيول السباقات . أعطاه المدرس درجة ضعيف جداً وبرر ذلك بأن الدرجة تعكس اعتقاده بأن الهدف كان بعيداً عن الواقعية.

فما من غلام فقير يعيش في البر على ظهر شاحنة يمكنه بأي حال من الأحوال أن يجمع مالا يكفي لشراء مزرعة على مساحة هائلة من الأرض ، وشراء الخيول وأدواتها ومتطلبات تربيتها ، وأيضا دفع أجور العاملين في المزرعة . وعندما عرض المدرس على مونتي فرصة إعادة كتابة ورقته من أجل الحصول على درجة أعلى ، قال له مونتي : " احتفظ أنت بالدرجة ، وسأحتفظ أنا بحلمي ". واليوم أصبح مونتي يمتلك مزرعته المقامة على مساحات شاسعة من الأرض في كاليفورنيا ، ويربي خيل السباق ويدرب المئات من مدربي الخيول عند اختيارهم للانضمام لمدربي خيوله . لأنه فقط لم يدع أحداً يسرق حلمه ... !!)[1] .

وأفضل من ذلك كله ما جاء في قصة ربيعة الأسلمي ﷺ عندما ترك رعي الأغنام وانتقل لخدمة النبي ﷺ يقول : (كنت أخدم رسول الله ﷺ وأقوم له في حوائجه نهاري أجمع حتى يصلي رسول الله ﷺ العشاء الآخرة فأجلس ببابه إذا دخل بيته أقول لعلها أن تحدث لرسول الله ﷺ حاجة فما أزال أسمعه يقول رسول الله ﷺ سبحان الله سبحان الله سبحان الله وبحمده حتى أمل فأرجع أو تغلبني عيني فأرقد قال فقال لي يوما لما يرى من خفتي وخدمتي إياه سلني يا

(١) هكذا هزموا اليأس ، ص ١٥.

ربيعة أعطك قال فقلت انظر في أمري يا رسول الله ثم أعلمك ذلك قال ففكرت في نفسي فعرفت أن الدنيا منقطعة زائلة وأن لي فيها رزقا سيكفيني ويأتيني قال فقلت أسال رسول الله ﷺ لآخرتي فإنه من الله عز وجل بالمنزل الذي هو به قال فجئت فقال ما فعلت يا ربيعة قال فقلت نعم يا رسول الله أسألك أن تشفع لي إلى ربك فيعتقني من النار قال فقال من أمرك بهذا يا ربيعة قال فقلت لا والله الذي بعثك بالحق ما أمرني به أحد ولكنك لما قلت سلني أعطك وكنت من الله بالمنزل الذي أنت به نظرت في أمري وعرفت أن الدنيا منقطعة وزائلة وأن لي فيها رزقا سيأتيني فقلت أسال رسول الله ﷺ لآخرتي قال فصمت رسول الله ﷺ طويلا ثم قال لي إني فاعل فأعني على نفسك بكثرة السجود)[1].

إن إحساسنا برؤية مستقبلية متفائلة يزيل عنا كل عقبة وصعوبة ألم لتحقيقه.



(١) حسنه الألباني رحمه الله في إرواء الغليل (٢/٢٠٨) .

♦ **لنفع لأنفسنا أهدافا سامية نحاول الوصول إليها دائما .**

ماذا نريد من هذه الحياة ؟.

فالسير في الحياة بدون هدف ، يشبه الإبحار في المحيط دون أن تحدد إلى أين تتجه ، وكلما سما هدف المرء ضاعف جهده للوصول إليه ، ولذلك يُلحظ على أكثر المحبطين والفاشلين والعاجزين أنهم لا هدف لهم إطلاقاً أو أن أهدافهم تافهة حقيرة لا قيمة لها ، ويُرى أن أكثر المتفائلين كانت لهم أهداف عظيمة حاولوا الوصول إليها، فأفلحوا تارة وأخفقوا أخرى .

(إن تحقيق هدفك بحاجة إلى مزيد من العزيمة ، وقوة الإرادة ، والثقة بالنفس ، والقوة النفسية ، والشجاعة الأدبية ، بَيْدَ أننا سنواجه سيلاً عارماً من التثبيط ، ومن التشكيك ، ومن التنقيص ، وكل ذلك بهدف التقليل من مكانتنا وشأننا ، ولا ضير من ذلك إذا كانت مناعتنا النفسية قوية ، فهناك عوائق وعقبات ومشاكل في طريق أهدافنا ، علينا أن نستعد لكل ذلك وأبعد من ذلك ، ولنتأكد من أن الطَرْق المتكرر لابد وأن يفتت الصخرة الصماء)[1] .

---

(١) الشخصية الناجحة ، ص ٧١ .

ومن الإضاءات المهمة في تحقيق الأهداف :

❖ (كثير من الناس يظهرون ارتباكاً عظيماً في التعامل مع (اللحظة الحاضرة) وذلك بسبب أنهم لم يفكروا فيها قبل حضورها، فتتحول فرص الإنجاز والعطاء إلى فراغ قاتل ومفسد.

وكل هدف صغير يقتطع جزءاً من الهدف الكبير ، ويؤدي إلى قطع خطوة في الطريق الطويل ؛ وعدم وجود أهداف صغيرة ، يجعل الهدف النهائي يبدو دائماً كبيراً وبعيداً)[1] .

❖ وضع الأهداف المناسبة، فلا تكون خيالية ولا تكون أهدافاً وضيعة، وأن تكون الأهداف إيجابية لا سلبية ، و يكون الهدف محدداً وواضحاً لا غموض فيه ولا لبس ، ولذا فعلينا أن نواظب على كتابة أهدافنا في ورقة بيضاء، أو مفكرة خاصة ، وهذا بمثابة إشهار رسمي لنا بما نريد ؛ لأنه من الخطأ أن نستمر في الحياة كيفما اتفق سائرين مع اتجاه التيار السائد، وبهذه الطريقة لن نحقق شيئاً يذكر ، وبدون تحديد الأهداف تصبح الحياة مجرد مصادفات وحوادث لا معنى لها ولا قصد من ورائها سوى أنها تحدث لنا ، مثلما تحدث لغيرنا .

---

(١) عبدالكريم بكار ، مجلة البيان .

❖ أن نميز بين أهدافنا الأساسية التي نسعى لتحقيقها وبين بقية الأهداف الثانوية التي ستشد انتباهنا عبر مسيرة حياتنا، فالأهداف لا تتحقق وحدها دون أن نستدعيها ، فهي تميل للاختلاط والتشابك والتداخل مع بعضها فيصبح تمييزها عن غيرها صعباً .

انظر مثلاً لما يحدث في حياتنا اليومية ، فعندما نذهب لنتسوق دون أن نحدد مسبقاً ما نريد شراءه ، فسوف ننفق كل نقودنا على شراء كل ما يصادفنا ، دون أن نشتري ما نحتاجه بالفعل . فنعود إلى منازلنا مرهقين وننسى ما كنا نبحث عنه منذ البداية .

❖ أين نحن الآن ، وأين نريد أن نكون ؟ وهذا السؤال مهم في كل عملية تخطيط ، فعادةً نحن لا نخطط للفشل، ولكن نفشل في التخطيط .

❖ وضع خطة مناسبة لتحقيق هذه الأهداف .

❖ لابد من تحديد الوسيلة التي ستوصلنا إلى أهدافنا .

❖ هل نحن مستعدون وقادرون ؟ أم أننا نركض وراء سراب زائل ؟ فنحاول اقتناص فرص عابرة وسريعة لنصبح أغنياء بين عشية وضحاها .

❖ عدم الإفراط في الطموحات .

- ❖ وضع مدة زمنية محددة وواضحة، والفترات الزمنية المفتوحة لا تتحقق فيها الأهداف ، بل تسرح وتتوه فيها الأحلام .
- ❖ تقسم الأهداف الكبرى إلى أهداف مرحلية ، ليسهل تحقيقها، وتقسيم الأهداف العريضة إلى أهداف تفصيلية[1] .
- ❖ وضع الأهداف بما يتناسب مع الإمكانات .
- ❖ وجود فترات تقييم مرحلية .
- ❖ وضع البدائل.
- ❖ أن تؤدي أهدافنا إلى تغيير ، فلا يصح أن تكون أهدافنا هي إبقاء الأوضاع كما هي عليه ، بل يجب أن يتضمن الهدف تغييراً إيجابياً .
- ❖ يجب أن يتعلق الهدف بالمستقبل ، لا بما مضى .



(١) هذا يشبه إنشاء مبنى . فلا يمكنك تجميع الحديد والأخشاب والأسمنت والحجارة في كومة واحدة ليقوم المبنى .

◆ **حتى نكون متفائلين لابد أن نكون متوكلين على الله تعالى.**

فالتوكل على الله تعالى من أعظم واجبات المؤمن ، وأفضل الأعمال والعبادات المقربة للرحمن ؛ فإن الأمور لا تحصل إلا بالتوكل على الله سبحانه وتعالى والاستعانة به.

قال ابن القيم رحمه الله : (**ولو توكل العبد على الله حق توكله في إزالة جبلٍ من مكانه وكان مأموراً بإزالته ؛ لأزاله**)[1].

وهذا التوكل لايقوم به على وجه الكمال إلا خواص المؤمنين كما في صفة السبعين ألفاً ، فالذي يحقق التوكل ليس كل الناس ، بل هم طائفة قليلة من الناس ذكرهم النبي ﷺ بقوله : **((هذه أمتك يدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حساب)) ، ثم دخل ولم يبين لهم من هم وما هي صفاتهم ؛ فأفاض القوم وقالوا : نحن الذين آمنا بالله واتبعنا رسوله ؛ فنحن هم ، أو أولادنا الذين ولدوا في الإسلام ؛ فإنا ولدنا في الجاهلية فبلغ النبي ﷺ هذا القول منهم فخرج وقال : ((هم الذين لا يسترقون ولا يتطيرون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون)) فقال عكاشة بن محصن : أَمِنْهُم أنا يا رسول الله ؟ قال : ((نعم)) ، فقال**

---

(١) مدارج السالكين (٨١/١) .

آخر : أمنهم أنا ؟ فقال ﷺ : ((سبقك بها عُكاشة))[1].

ومن المتوكلين عمران بن حصين وهو من سادات المتوكلين وكان به بواسير ، وكان يصبر على ألمها ؛ فكانت الملائكة تسلم عليه ، فاكتوى ؛ فانقطع تسليم الملائكة عليه، ثم ترك الكي وصبر على الألم؛ فعاد سلام الملائكة عليه[2].

ومن الآيات التي تدل على فضل التوكل قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴾[3].

والتوكل من أعظم الأسباب في جلب المنافع ودفع المضار، قال ﷺ : ((لو أنكم توكلتم على الله حق توكله ؛ لرزقكم كما يرزق الطير تغدو[4] **خماصاً**[5]**وتروح**[6]**بطاناً**[7]**))**[8].

(١) رواه البخاري (٥٧٥٢) ، ومسلم (٢٢٠) .

(٢) روى قصته الإمام مسلم (١٢٢٦).

(٣) سورة الزمر ، آية (٣٨) .

(٤) الغدوة : الخروج أول النهار .

(٥) الخمص : الجوع .

(٦) الروح : ترجع آخر النهار .

(٧) بطانا : شبعانة .

(٨) رواه الترمذي (٢٣٤٤) ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٢٥٤) .

فأفئدة الطير مليئة بالتوكل على الله ، ولو أننا توكلنا على الله كما يتوكل الطيرُ ؛ لرزقنا مثل ما يرزق الطير . والأسباب ولو كانت يسيرة وضعيفة ، يبذلها العبد ، والله سبحانه وتعالى يبارك فيها ويجعل فيها أثراً ، والله علمنا ذلك من قصة مريم .

توكل على الرحمن في كل حاجة

ولا تؤثرنّ العجز يوماً على الطلبْ

ألم تر أن الله قـــال لمريــــم

إليكِ فهزي الجذع يساقط الرُّطَبْ

ولو شاء أن تجنيه من غير هزِّهـا

جنَتْهُ ولكـــن كـــل شيء له سبب

فلنتخيل حال امرأة ضعيفة هي في أقوى حالاتها أضعف من الرجل ، وهي في حال النفاس أضعف ما تكون المرأة ، والنخلة شجرة جذعها قوي ولكن الله قال : ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ﴾[1] ، ولكن بالسبب الضعيف جعل النتيجة .

وهناك قصة لطيفة لامرأة ، رواها الإمام أحمد رحمه الله في مسنده يقول في الحديث عن النبي ﷺ : **(إن امرأة خرجت في سرية من المسلمين وتركت ثنتي عشرة عنزاً لها**

(١) سورة مريم ، آية (٢٥) .

وصيصيتها[1] كانت تنسجُ بها، ففقدت عنزاً من غنمها وصيصيتها؛ فقالت يارب إنك قد ضمنت لمن خرج في سبيلك أن تحفظ عليه وإني قد فقدت عنزاً من غنمي وصيصيتي وإني أنشدك عنزي وصيصتي) فجعل رسول الله يذكر شدة مناشدتها لربها – تبارك وتعالى – وشدة توكلها على الله ، وخرجت في سبيل الله ومعتمدة أن الله يحفظ مالها ولما عادت لم تقل: إن الله أخلف وعده ، ولكن نشدت ربها ما وعد به وأخذت تلح وتلح . قال رسول الله ﷺ : ((فأصبحت عنزها ومثلها وصيصيتها ومثلها))[2]. رجع مضاعفاً ؛ لما نامت على الدعاء والتوكل .

ولنتذكر دائماً قول الله تعالى : ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[3].



(١) السيخ الذي ينسجون به الغزل.

(٢) رواه أحمد في مسنده (٢٠١٤١) ، وصححه الشيخ الألباني في السلسلة الصحيحة (١٠٤٧/٦) .

(٣) سورة هود ، الآية (٦) .

◆ **الأمل** :

إذا فقد المريض الأمل من الشفاء ، كره الدواء ، وكره الطبيب ، وضاق بالحياة والأحياء ، ولم يعد يجديه العلاج إلا أن يعود إليه الأمل ، وإذا فقد التلميذ الأمل من النجاح نفر من الكتاب والقلم ، وضاق بالمدرسة ، ولم يعد ينفعه درس خاص ولا عام ، ولا تهيئة الجو المناسب إلى أن يعود إليه الأمل .

الأمل باب مفتوح وهذا يزيد من تفاؤلنا ونتذكر قول الله تعالى : ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾[1]. وهذا يعني أنه ما من عسر يأتي إلا ويأتي بعده اليسر ويقول سبحانه : ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[2]، فكلما اشتدت علينا الأمور فلنعلم أن الفرج قد اقترب وهذا مصداق حديث الحبيب ﷺ وهو يحدث أصحابه فيقول : ((واعلم أن النصر مع الصبر ، وأن الفرج مع الكرب ، وأن مع العسر يسراً))[3].

(١) سورة الانشراح ، الآيات (٥ وَ ٦) .

(٢) سورة الطلاق ، الآية (٧) .

(٣) السلسلة الصحيحة رقم (٢٣٨٢).

يقول الله تعالى : ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾[1] **، إننا معرضون في حياتنا لأنواع من الفشل في بعض التجارب ، وحريٌ بنا أن نوقظ في أنفسنا روح الأمل ، فنراجع أنفسنا باحثين عن أسباب الفشل لنتجنبها ، ونتلافى الأخطاء ، ولنحول الخسائر إلى أرباح ، ونجعل شعارنا دائماً : الأمل موجود .**

أُعلّل النفس بالآمال أرقبهـــا

ما أضيق العيش لولا فسحةُ الأمل



(١) سورة يوسف ، الآية (١١٠)

◆ النظرة الإيجابية .

يقول تشارلز سويندل : (**يعتمد مستوى معيشتنا وسعادتنا في الحياة بنسبة ١٠٪ على ما يحدث لنا ، وبنسبة ٩٠٪ على ردود أفعالنا تجاه ما يحدث لنا**) . من أسرار النفس البشرية تأثير الأفكار عليها في المشاعر والسلوك فكثيرون منا قرؤوا أو سمعوا باسم كتاب " **دع القلق وابدأ الحياة**" للمؤلف " **ديل كارنيجي** " ، الذي اختار لأحد فصوله عنوان " **حياتك من صنع أفكارك** " والذي يقول فيه : (**فإذا راودتنا أفكار سعيدة أصبحنا سعداء**[1] ، **وإذا سيطرت علينا أفكار التعاسة غدونا أشقياء وإذا تملكتنا أفكار الخوف أو المرض فغالباً سوف نصبح مرضى أو جبناء نشعر بالذلة ! وإذا فكرنا في الإخفاق أتانا الفشل سريعاً ! وإذ دأبنا نتحدث عن متاعبنا ونندب حظنا ، ونرثي لأنفسنا فسوف يهجرنا الناس ويتجنبون صحبتنا ، فكل واحد عنده ما يكفيه من المتاعب والمشكلات ثم يقول: أعرف رجالاً ونساءً بوسعهم إقصاء القلق والمخاوف والأمراض ، بل حولوا مجرى حياتهم تحويلاً شاملاً عن طريق تحويل أفكارهم**).

---

(١) يقول برنارد شو : " السر في إحساسنا بالتعاسة ، أننا نقضي أجمل أوقاتنا في السؤال : هل نحن سعداء أم لا ؟ . [الطريق إلى مكة . خمسة متطلبات للنجاح العملي والشخصي ، تأليف : توم رودل].

ويمكن أن نحول الأفكار بـ**(الإيحاء الذاتي)** وهو مبدأ قديم عرف بـ " **تأثير الأفكار في حياة الإنسان** " تحدث الإمام ابن قيم الجوزية – رحمه الله – عن **(الإيحاء الذاتي)** في كتابه **الفوائد**" ، وقال : (**إن صلاح الأفعال والعادات مبني على صلاح الخواطر والأفكار ، وردُ الأفكار الخاطرة وإبعادها عن الذهن منذ البداية يسر من قطعها بعد أن تصبح عادة مستحكمة**) .

(إن قوة الإيمان والعقل والحكمة تعين الإنسان على اختيار أحسن تلك الخواطر والأفكار ، وعلى دفع السيئ منها سعادة الإنسان أو شقاوته أو قلقه أو سكينته تنبع من نفسه وحدها ، إنه هو الذي يعطي الحياة لونها البهيج ، أو المقبض ، كما يتلون السائل بلون الإناء الذي يحتويه : **((فمن رضي فله الرضا ، ومن سخط فله السخط))**[1].

عاد النبي ﷺ أعرابياً مريضاً يتلوى من شدة الحمّى ، فقال له مواسياً مشجعاً : **((طهور))** فقال الأعرابي : "**بل هي حمى تفور ، على شيخ كبير لتورده القبور**" ، قال : **((فهي إذاً))**[2] .

(١) رواه الترمذي .

(٢) رواه البخاري .

يعني أن الأمر يخضع للاعتبار الشخصي فإن شئت جعلته تطهيرا ، وإن شئت جعلته هلاكاً)[1] .

(فمن يدري ؟ رب ضارة نافعة ، وربما صحّت الأجسام بالعلل ، رُبّ محنة في طيِّها مِنْحة . من يدري ؟ ربما كانت هذه المتاعب التي تعانيها باباً إلى خير مجهول ، ولئن أَحْسَنَّا التصرف فيها فنحن حريُّون بالنفاذ منها إلى مستقبل أطيب . ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴾[2] .

إنّ أكثرنا يتبرَّم بالظروف التي تحيط به ، وقد يضاعف ما فيها من نقص وحرمان ونَكَد ، مع أن المتاعب والآلام هي التربة التي تنبت فيها بذور الرجولة .

وما تفتَّقت مواهب العظماء إلا وسط ركام من المشقات والجهود)[3] .

(ونحن نستطيع أن نصنع من أنفسنا مُثُلاً رائعة إذا أردنا . وسبيلنا إلى ذلك تجديد أفكارنا ومشاعرنا ، كما تتجدَّدُ الرقعة من الصحراء إذا انضاف إليها مقدار ضخم من المخصِّبات والمياه)[4] .

---

(١) جدد حياتك ، ص ١٠٥.

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢١٦) .

(٣) جدد حياتك ، محمد الغزالي ، ص (١٥٦) .

(٤) المرجع السابق .



إن من المهم جداً أن يكون لدى الإنسان نظرة واقعية ونظرة توازن بين الأشياء، ومن الخطأ أن يسبغ المرء من شعوره السلبي على الأشياء من حوله، وكثيرون يصبغون ما يشاهدونه، أو ما يحيط بهم – وحتى رؤاهم في المنام – بصبغة مشاعرهم؛ فالخائف ينظر إلى الأشياء كلها من منطلق المؤامرة المحكمة.

لَقَد خِفتُ حَتَّى لَو تَمُرُّ حَمامَةٌ
لَقُلتُ: عَدُوٌّ أَو طَليعَةُ مَعشَرِ
فإن قيلَ:خَيرٌ قُلت:هَذي خَديعَةٌ
وَإِن قيلَ: شَرٌّ قُلتُ: حَقٌّ فَشَمِّرِ

إن شأن النظرة الإيجابية عجيب؛ ففي حديث السبعة الذين يظلهم الله في ظله ذكر النبي صلى الله عليه وسلم رجلاً دعته امرأة ذات منصب وجمال، فقال: إني أخاف الله؛ فأبرز صلى الله عليه وسلم جانب الامتناع من هذا الرجل، وأشاد به أكثر من جانب المرأة الواقعة في الفتنة الداعية إلى الإغراء.

وفي قصة الرجل الذي أراد المرأة حتى اضطرتها ظروف الحياة إلى أن تطاوعه وهي كارهة، ثم ذكّرته بالله، وقالت: اتَّقِ اللَّهَ، وَلاَ تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلاَّ بِحَقِّهِ ؛ فقام عنها وهو أشد ما يكون شوقاً إليها، والله تعالى حمد له هذا واستجاب دعاءه بهذا الموقف، مع أنه خطا عدة خطوات إلى المعصية، وحاولها

زمناً طويلاً وواعدها، وابتزّ المرأة أول أمره، واستغل ظروفها المادية الصعبة، ووصل إلى الخلوة، وأن يقعد منها مقعد الرجل من امرأته: بين رجليها، وهذا لفظ يطوي وراءه سلسلة طويلة من المحاولات والخطوات، ومع ذلك كانت النتيجة أن خاف مقام ربه، ونهى النفس عن الهوى، وكان هذا منه أمراً محموداً؛ لأنه أصرّ على تصحيح الخطأ.

ربما يقع من المرء زلة، أو يمشي خطوة في طريق، ولكننا لن نعدم أن نجد في عمله – ما دام مؤمناً مسلماً – أثراً يستحق أن يُشاد به، ويُنظر إليه بإيجابية، ويُطوّر ويُفعّل؛ لئلا يُحاصر هذا المرء بذنبه، وقد لعن بعض الصحابة – رضي الله عنهم – ذلك الرجل الذي جُلد في الخمر – كما في صحيح البخاري – فقال النبي ﷺ **((ألا قلتم رحمك الله بدلاً من قول لعنك الله))**.

إن الإيجابية تجاه أنفسنا، والعدوان الذي يقع علينا من الآخرين؛ فهذا يسبّنا، وهذا يجحد جميلنا ، وهذا يكتب مقالاً يشتمنا في جريدة أو مجلة، وهذا يكتب تعليقاً في الإنترنت على ما نفعل أو نقول؛ فلا نيأس ولا نيأس؛ فالناس لا يركلون الجثث الهامدة، ولا يتعرضون إلا لمن لهم وجود وحضور، ولنتخيل كم في هذا العمل – الذي ربما ساءنا أول الأمر – من الخير؛ ففيه الأجر والثواب لمن صبر وصابر.

وفيه تعويد النفس على تقبل مثل هذه المعاني، وعدم الانزعاج والانفعال لها؛ فهي دورة تدريبية.

فعلينا ألاّ نقرأ الوجه القاتم، ولا النص الفارغ. فلنحاول أن نعدل الكفة والميزان.

وكذلك الواقعية في النظرة إلى الحياة والشمولية والبعد عن نظرة الكمال الخيالية .

ففي عام (١٩٦٧م) وضع رجل أوربي يدعى "بيك " نظرية أسماها "النظرية المعرفية " وقال فيها : (**إن هناك بعض الناس يكتئبون لأنهم يفكرون خطأ ، ومن النقاط الخاطئة في طريقة التفكير التي ذكرها " بيك " التوقعات الكبيرة جداً ، النظرة الجزئية للأمور ، وتعميم الخطأ ، والنظرة السلبية إلى الأمور ، فيصبح هذا الإنسان أول ما ينظر إليه في أمرٍ ما هو الجانب السلبي فسيؤدي هذا بالطبع إلى دوام الاكتئاب والحزن في الحياة وبالتالي سيقل تفاؤله**) [١] .

ولنصنع الآن من الليمونة الملِحَة شراباً حُلواً ، ولننظر إلى الأمثلة لتحويل الخسائر إلى مكاسب :

---

(١) كثيرون يحيلون أسباب الفشل والإخفاق إلى النفس دائماً ، وهو من أهم عوامل الاكتئاب بينما المتفائل يعذر نفسه ويسامحها ، والمتشائم لا يعذر نفسه ولا يسامحها ، ويحيل الأسباب لنفسه .

(سُجن أحمد بن حنبل وجُلد فصار إمام السنة ، وحُبس ابن تيمية فأُخرج من حبسه عالماً جماً[1] ، ووضع السرخسي في قعر بئر معطلة فأخرجَ عشرينَ مجلداً في الفقه ، وأُقعدَ ابن الأثير فصنّف جامع الأصول ، والنهاية من أشهر وأنفع كتب غريب الحديث ، ونُفي ابن الجوزي من بغداد ، فجود القراءات السبع ، وأصابت حمى الموت مالك بن الريب فأرسل للعالمين قصيدته الرائعة الذائعة التي تعدل دواوين شعراء الدولة العباسية ، ومات أبناء أبي ذؤيب الهذلي فرثاهم بقصيدة رائعة أنصت لها الدهر ، وذهل منها الجمهور ، وصفّق لها التاريخ .

إذا داهمتك داهية فانظر في الجانب المشرق منها ، وإذا ناولك أحدهم كوب ليمون فأضف إليه حفنة من سكر ، وإذا أهدى لك ثعباناً فخذ جلده الثمين واترك باقية ، وإذا لدغتك عقرب فاعلم أنه مصل واق ومناعة حصينة ضد سم الحيات .

تكيف في ظرفك القاسي ، لتخرج لنا منه زهراً ووردا وياسميناً ، ﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾[2] .

سجنت فرنسا قبل ثورتها العارمة شاعرين مجيدين متفائلاً ومتشائماً فأخرجا رأسيهما من نافذة السجن .

(١) وقد كتب ابن تيمية رحمه الله تعالى أمتع رسائله وهو سجين في قلعة دمشق .

(٢) سورة البقرة ، الآية (٢١٦) .

فأما المتفائل فنظر نظرة في النجوم فضحك. وأما المتشائم فنظر إلى الطين في الشارع المجاور فبكى .

انظر إلى الوجه الآخر للمأساة ، لأن الشر المحض ليس موجوداً ؛ بل هناك خيرٌ ومكسب وفتح وأجر)[1] .

سجن ابن تيمية

وكذلك انظر لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وهو يصف حالته وهو سجين ، والذي يرسم صورة جميلةً للتفاؤل فيقول : (ماذا يفعل أعدائي بي ؟ أنا جنتي وبستاني في صدري ، أينما رحت فهي معي لا تفارقني ، أنا سجني خلوة ، وقتلي شهادة ، ونفيي عن بلدي سياحة).

فقد ابن عباس لعينيه

و(عندما فقد عبد الله بن عباس عينيه ، وعرف أنه سيقضي ما بقي من عمره مكفوف البصر ، محبوساً وراء الظلمات عن رؤية الحياة والأحياء ، لم ينطوِ على نفسه ليندب حظّه العاثر .

بل قبل القسمة المفروضة ، ثم أخذ يضيف إليها ما يهوِّن المصاب ويبعث على الرضا فقال :

إنْ يأخذِ الله من عينيَّ نورَهمـــا

ففي لساني وسمعي منهما نُورُ

(١) لا تحزن ، د. عائض القرني ، ص٣٧٥.

قلبي ذكيٌّ ، وعقلي غيرُ ذي دَخَلٍ

وفي فمي صارم كالسيف مأثورُ

وقال (بشار بن برد[1]) يردُّ على خصومه الذين ندَّدوا بعماه:

وعيرني الأعداءُ ، والعيبُ فيهمو

فليس بعارٍ أن يقال ضريرُ

إذا أبصر المرء المروءةَ والتُّقى

فإن عمَى العينين ليس يضيرُ

رأيتُ العمى أجراً ، وذُخْراً وعِصْمَةً

وإني إلى تلك الثلاثِ فقيرُ

ولا شك أن تلقي المتاعب والنوازل بهذه الروح المتفاءلة ، وهذه الطاقة على استئناف العيش والتغلب على صعابه، أفضل وأجدى من مشاعر الانكسار والانسحاب التي تجتاح بعض الناس وتقضي عليهم.

وانظر البَوْن بين كلام (ابن عباس)و(بشار)، وبين ما قاله (صالح بن عبد القدوس) لما عمي :

على الدنيا السلام ، فما لشيخٍ

ضريرِ العين في الدنيا نصيبُ

---

(١) وهو متهم في دينه ، كما بين ذلك الشيخ / د. عبد العزيز آل عبد اللطيف.

يموت المرءُ وهو يُعَـــــدُّ حيّاً

ويُخْلِف ظنَّه الأملُ الكـــذوبُ

يمنيني الطبيبُ شفاء عينـــي

وما غير الإله لها طبيـــــبُ

إذا ما مات بعضُك فابك بعضاً

فإن البعض من بعضٍ قريبُ)[1]

بعض الدعاة يظلمون أنفسهم بنظرة متشائمة إلى مستقبل الدعوة ، ويتهمون التخطيط والقادة والرعيل، فيعتزلون مجالات العمل الوضاءة وهي من حولهم تنادي وتهيب .

وإنما الظلام ظلام المتشائم فحسب ، إذ حبس نفسه عن الضياء ، والأضواء تنير درب غيره.

ولذا ضرب أحدهم مثلاً فافترض للمتشائم أنه في حجرة مقفلة سوداء ، أليس يبقى من حولها ضوء الشمس ؟

حجرة ملؤها الظلام حوتني

حوتـها أشعـــة قمـــراء[2]

(١) جدد حياتك ، محمد الغزالي ، ص(١٥٨).

(٢) العوائق ، محمد أحمد الراشد ، ص ١١٣، بتصرف .

◆ **التشويش على الأفكار السلبية التشاؤمية وعدم الاسترسال فيها.**

فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ : **((من ردته الطيرة عن حاجته فقد أشرك))** قالوا يا رسول الله وما كفارة ذلك؟ قال : **((يقول اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك))**[1].

ولو أردنا إصابة أنفسنا بالمرض، فبوسعنا أن نفعل ! كيف ؟

وذلك بأن نحاصر أنفسنا بالأفكار التي تبعث على الاكتئاب والتشاؤم . وللتخلص من مشاعرنا التشاؤمية بمجرد أن ندرك وجودها علينا **(أن تقوم بتشتيت أنفسنا ، فكلما أحسسنا بها حاولنا التفكير في أي شيء آخر ، أما عملية مناقشة وتفنيد أسباب هذه المشاعر فتكون أكثر فعالية على المدى الطويل)**[2] .

كما علينا أن نغير جميع قناعاتنا السلبية .

---

(١) رواه الإمام أحمد (١٠/١٢) ، وصحح إسناده أحمد شاكر ، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٥٤/٣) .

(٢) تعلم التفاؤل ، د. مارتين سليجمان ، ص ٣٥٣.

وقد أظهرت الأبحاث النفسية أن الأشخاص الذين يركزون على التجارب الإيجابية بوسعهم أن يتحملوا الصعاب أكثر من الذين يتجنبونها[1].

تمرين : لِندون على الأقل (٥) خمس طرق للتشويش على الأفكار السلبية؟.

مثال : القيام من المكان وتغييره .

لا يسترسل بالتفكير .

١/

٢/

٣/

٤/

٥/

تمرين : لندون على الأقل (٣) ثلاث قناعات سلبية؟.

١/

٢/

٣/



(١) التفاؤل التلقائي ، د. مايكل ميرسر ، د. ما ريان تروياني ، ص ٧٨.

- **لنحدد الوسائل والعوامل والمصادر التي أدت بنا إلى التشاؤم وعدم التفاؤل ..**

لأن ذلك سيساعدنا على معالجتها والتعامل معها ، ولنحدد كذلك المصادر والعوامل والوسائل التي تؤدي بنا إلى التفاؤل .

<u>تمرين</u> : لنكمل الجدول التالي بتدوين العوامل التي تؤدي بنا إلى التشاؤم ولنغيرها كي تصبح عوامل تفاؤلية ..

عوامل تشاؤم	تصبح مواقف تفاؤلية إذا



♦ **لنكتشف مناجم أنفسنا ؛ ففيها درر نفيسة ومعادن كريمة ..**

ولا نجحدْ أو نزدرِ نعم الله علينا، فما منا أحد إلا في دواخل نفسه قدرات ومواهب وملكات، عليه أن يكتشفها. إذا قال لنا أحد إنه يستطيع، أو قال لنا إنه يعجز ؛ فهو صادق في الحالين؛ فمن رضي فله الرضا ومن سخط فله السخط .



- **لنحاول أن ندفع أنفسنا في أنشطة يومية يسيرة تبعث على التفاؤل ..**

<u>تمرين</u> : دوّن على الأقل (٣) ثلاث أنشطة يومية تجعلك متفائلاً ..

١/

٢/

٣/





◆ **لنكف عن المبررات ، ولنتخلص من إلقاء اللوم على أنفسنا وعلى الآخرين..**

قد يكون موقفاً سلبياً ، ولكن لدي أسبابي القوية لذلك ..

قد يكون تعاملي مع ابني فيه قسوة ، ولي الحق في تبني موقف كهذا ..

كثيراً ما سمعت هذا الكلام عندما كنت أقدم المشورة في كيف تصبح متفائلاً ، أو عندما أقدم الاستشارة للآباء لما يواجهونه من مشاكل أبنائهم وخصوصاً المراهقين منهم. في مثل هذه الظروف أسمع الكثير من اللوم . وأجدهم يقولون : " **أنا أعرف أنني كنت جزءاً من المشكلة ، وأنني اقترفت أخطاء ، وقد أكون مخطئاً في كثير من الأمور ، ولكن ..** " .

وكلمة (لكن) هذه تعمل كمبرر وتفسير بأن يحول الشخص الموقف لصالحه ، ومشكلتنا أننا نشكو دائماً من كل شيء.



◆ **توقع الأفضل ..**

وهو حسن الظن بالله تعالى وهو قمة التفاؤل وفي الحديث القدسي يقول النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه: ((أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء)) [1] .

وتأمل معي حسن الظن بالله تعالى وتوقع الأفضل الذي يقود للنجاة في قصة موسى عليه السلام :

عندما فرّ موسى والمؤمنون معه بدينهم من وجه الطاغية ، ويصر فرعون وجنده على اللحاق بهم، بل ويرسل فرعون في المدائن حاشرين، ويقول عن المؤمنين: ﴿ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَشِرْذِمَةٌ قَلِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لَغَآئِظُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ﴾ [2] .

و يبلغُ الكَرْبُ بالمؤمنين نهايته، والبحرُ أمامهم والعدوُ خلفهم، وهم لا يَدرون ماذا في غيبِ الله وعلمهِ ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ [3] **أَيْ : سيدركنا العدو ، الآن يَلْحَقنَا فِرْعَوْن وَجُنُوده فَيَقْتُلُونَنَا ، وَذُكِرَ أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ لِمُوسَى ، تَشَاؤُمًا بِمُوسَى** [4] ﴿ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ [5]**، قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ : لَيْسَ الأَمْر كَمَا ذَكَرْتُمْ ،**

---

(١) صحيح الجامع (٤٣١٦) .

(٢) سورة الشعراء، الآيات (٥٤ – ٥٦) .

(٣) سورة الشعراء، الآية (٦١) .

(٤) تفسير الطبري ، سورة الشعراء ، آية (٦١- ٦٢).

(٥) سورة الشعراء ، الآية (٦٢) .

كَلا لَنْ تُدْرَكُوا إنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِيني ، يَقُول : سَيَهْدِيني إلى طريق أَنْجُو فِيهِ مِنْ فِرْعَوْن وَقَوْمه ، ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[1].

فكانت النتيجة لتوقع موسى عليه السلام وحسن ظنه بربه بأن أنجاه الله من فرعون وجنوده وأهلك فرعون وجنوده ليكون في ذلك أية لنا وعبرةً .

عندما نبدأ مشروعاً فإن طريقة تفكيرنا فيما نعتقده مهمة جداً :

- **الاعتقاد الإيجابي** : وهو التوقع بأننا سوف ننجح وسنزيد من الفرص التي تعيننا على التوصل إلى الطرق التي تضمن لنا النجاح .

أو :

- **الاعتقاد السلبي**: وهو التوقع بأننا قد نفشل ، مما يعمل على إضفاء مزيد من الصعوبة على بنائنا لتحفيزنا نحو النجاح.

(١) سورة الشعراء ، الآيات (٦٣ – ٦٨).

وما نترقب حدوثه سيتحول ، وبتغييرنا ما نعتقده عن أنفسنا سيتغير العالم من حولنا ؛ فلا نقرأ الأحداث والأشخاص والمجتمعات قراءةً سلبية قاتمة وإنما نقرؤها قراءة إيجابية معتدلة تُعنى بالجانب الإيجابي وإبرازه والنظر إليه والحفاوة به بقدر ما نُعنى برؤية الجانب السلبي برحمة وإشفاق وسعي وتصحيح.

ما نتوقع أن يحدث يصبح سبباً للاتجاه نحو ما توقعناه، وهذا ما يسميه بعضهم [1]: قانون التوقع، أي إذا توقعت مثلاً أن أكون ناجحاً توقعاً قوياً فإن هذا يصنع النجاح؛ لأن فكرة النجاح تتمكن أكثر وتُوجه سلوكيّاً نحو تحقيقها، والذين يتوقعون الشيء السيئ يتصرفون بما يناسب توقعهم.

قال المدير – في إحدى المدارس – لثلاثة من المدرسين: بما أنكم أفضل ثلاثة مدرسين فقد اقترحنا لكل منكم ثلاثين طالباً هم أحسن طلاب المدرسة ذكاءً لتدرسوهم في صفوف خاصة؛ ولكن لا تخبروهم بذلك، ونحن نتوقع لهم نتائج جيدة، وفعلاً كانت النتائج رائعة، وقال المدرسون: إنهم وجدوا الطلاب يتجاوبون ويفهمون بشكل لم يعتادوا عليه، ثم جرى إخبار المدرسين أن الموضوع لم يكن إلا تجربة،

---

(١) براين ترييسي : علم نفس النجاح.

وأن الطـلاب هـم طـلاب عـاديون أيـضاً اخـتيرت أسمـاؤهم بالقرعة !!

وقــد وجــد علمــاء الــسلوك أن الخــرائط الذهنيــة للأشـخاص تلعب دوراً رئيساً مهماً في الإدراك الإنساني من خلال نظرياتهم وتوقعاتهم وميولهم . وتم إثبات ذلك من خلال ما سمي بظاهرة البلاسيبو " **العلاج بالإيحاء** " .

قل لمجموعة من المرضى : إنه تم إعطاؤهم دواء مسكناً للألم . وستجد أن شعورهم بالألم قد يخف تدريجياً ، مع أنهم تناولوا مادة لا تضر ولا تنفع.

ففـي دراسـة أجراهـا " **روبـرت كوجهيـل** " وآخـرون عـام ٢٠٠٥م وجد أن " **التوقع بانخفاض الألم يخفض الألم فعلياً بنسبة (٢٨,٤٪)متفوقاً بذلك على علاج المورفين** " .

وأوضح " **دونالد برايس** " من جامعة فلوريدا **(أن التوقع الذهني لانخفاض الألم يخفض إدراك الألم نفسه)**[1].

لنحـافظ علـى صـورنا الذهنيـة ونحـن مـسئولين عـن الصورة الذهنية التي يرسمها الآخرون لنا ، علينا ألا نسمح بتسلل أية رتوش سلبية إلى الانطباعات التي نتركها عن صورنا أو سمعتنا .

---

(١) The Neuroscience of Leadership Mindful Change In Practice، David Rock and Jeffrey Schwartz (الخلايا العصبية الدماغية وأدوارها القيادية ، استثمارات الملكات الإنسانية في التغيير)، ديفيد روك و جيفري شوارتز .



والجانب المعنوي من هذا هو أن ما نترقب حدوثه سوف يتحول إلى واقع ملموس .



◆ الصبر و المصابرة والمثابرة والتجدد و الحماسة ..

علينا ألاّ نلقي الراية، ولا نستسلم للقعود واليأس أبداً، ولنعلم أن كثيرين ممن أعلنوا إفلاسهم وإخفاقهم كانوا على مقربة من النجاح، والشخص المكتئب لا يصنع لنفسه ولا للآخرين شيئاً.

الذين يمارسون أعمالهم بحماس وصبر وإصرار فإننا نشعر أنهم يضعون الأسس والقواعد لنجاح كبير مُدوٍّ في المستقبل؛ شريطة أن توجد عندهم الحماس، ثم الحماس، ثم الحماس.

وقد جاء في الحديث عن أبي العباس – عبد الله بن عباس رضي الله عنهما – قال: **((كنت خلف النبي ﷺ يوماً، فقال لي: يا غلام! إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، واعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأن ما أصابك لم يكن ليخطئك، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً))**. قال ابن رجب رحمه الله في هذا الحديث: في قوله ﷺ : **((وأن الفرج مع الكرب)) يدل على أن العبد متعبد بالصبر في انتظار الفرج من عند الله عز وجل.**

إذا تضايق أمرٌ فانتظرْ فرجاً

فأقرب الأمر أدناهُ إلى الفــرجِ

ويذكر القرآن لنا قصة يعقوب عليه السلام في معاناته في فقد ابنيه وصبره على ذلك : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ﴾[1] .

ولنتامل قصة سجين بطن الحوت ، ففي أرض الموصل بالعراق ، كانت هناك بلدة تسمى "نينوى" انحرف أهلها عن منهج الله، وصاروا يعبدون الأصنام ، فأراد الله هدايتهم فأرسل إليهم نبيه يونس عليه السلام ليدعوهم إلى الإيمان ، وترك عبادة الأصنام ، ولكنهم رفضوا الإيمان بالله ، وتمسكوا بعبادة الأصنام ، واستمروا على كفرهم وضلالهم دون أن يؤمن منهم احد ، بل إنهم كذّبوا يونس وتمردوا عليه ، واستهزؤوا به ، وسخروا منه .

فغضب يونس من قومه ، ويئس من استجابتهم له ، فأوحى الله إليه أن يخبر قومه بأن الله سوف يعذبهم بسبب كفرهم .

فامتثل يونس لأمر ربه ، وبلَّغ قومه ، ووعدهم بنزول العذاب والعقاب من الله تعالى ، ثم خرج من بينهم ، غاضباً بدون إذن ربه ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ

(١) سورة يوسف ، الآية (٨٣) .

فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[1].

وبعد خروج يونس من قريته وهو غضبان على قومه ذهب إلى شاطئ البحر ، وركب سفينة ، وفي وسط البحر هاجت الأمواج واشتدت الرياح ، فمالت السفينة وكادت تغرق .

وكانت السفينة محملة بالبضائع الثقيلة ، فألقى الناس بعضاً منها في البحر ، لتخفيف الحمولة ، ورغم ذلك لم تهدأ السفينة ، بل ظلت مضطربة تتمايل بهم يميناً ويساراً فتشاوروا فيما بينهم على تخفيف الحمولة البشرية ، فاتفقوا على عمل قرعة ، ومن تقع القرعة عليه ؛ يرمي نفسه في البحر ، فوقعت القرعة على نبي الله يونس ، لكن القوم رفضوا أن يرمي يونس نفسه في البحر ، وأعيدت القرعة مرة أخرى ، فوقعت على يونس ، فأعادوها مرة ثالثة فوقعت القرعة عليه أيضاً ، فقام يونس عليه السلام وألقى نفسه في البحر ، وكان في انتظاره حوت كبير أرسله الله له ، وأوحى إليه أن يبتلع يونس دون أن يخدش له لحماً أو يكسر له عظماً ؛ ففعل ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذۡ أَبَقَ

---

(١) سورة الأنبياء ، الآية (٨٧) .

إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴾[1] .

لقد أصبح في موقف يأس ، وفي وقت رُعب ، وفي وحشة لا يعلمها إلا الله ، وظل يونس في بطن الحوت يسبح الله – عز وجل – ويدعوه أن ينجيه من هذا الكرب ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِي ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2].

وأمر الله الحوت أن يقذفه على الساحل ، ثم أَنْبَتَ عليه شجرة ذات أوراق عريضة تظلله وتستره وتقيه حرارة الشمس، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴾[3] .

وأمر الله يونس أن يذهب إلى قومه ، ليخبرهم بأن الله تاب عليهم ، ورضي عنهم ، فامتثل يونس لأمر ربه ، وذهب إلى قومه وأخبرهم بما أوحى إليه ، فآمنوا به فبارك الله لهم

(١) سورة الصافات ، الآيات (١٣٩ – ١٤٢) .
(٢) سورة الأنبياء ، الآيات (٨٧ – ٨٨) .
(٣) سورة الصافات ، الآيات (١٤٥ – ١٤٦) .



في أمـــوالهم وأولادهـــم . قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾ ﴾[1] .

وقد أخبر النبي ﷺ أن الذي تصيبه مصيبة أو شر ثم يدعو بدعاء يونس عليه السلام يفرج الله عنه ، فقال ﷺ : ((دعوة ذي النون إذ دعا وهو في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ، فإنه لم يدع بها رجل مسلم في شيء قط إلا استجاب الله له))[2] .



(١) سورة الصافات ، الآيات (١٤٧ – ١٤٨).

(٢) أخرجه الترمذي .

♦ ليس هناك مستحيل ..

من التناقض أن النجاح أو الوصول للهدف أو حتى تحقيق التفاؤل مستحيل علينا ، فقد تصدق توقعاتنا ونفشل **(تعوَّد كثير منا إطلاق الألفاظ الدالة على الاستحالة ، أو عدم الإمكان دون تحديد لدرجة الاستحالة ، ودون أي تعليل لذلك.**

إذا طلبنا من رجل لم يتلق أي تعليم أو تدريب أن يكتب اسمه ، أو يقود طائرة ، فإننا نكون قد طلبنا منه مستحيلاً مؤقتاً ، وهو مستحيل بالنسبة لشخص واحد . وإذا تعلم الرجل أو تدرب التدريب المطلوب صار ذلك المستحيل بالنسبة له ممكناً .

وقد كان الصعود إلى القمر بالنسبة لعامة الناس قبل مئة سنة مستحيلاً استحالة مطلقة – وهو إلى الآن مازال مستحيلاً في نظر بعض الناس ! أما العلماء الذين يرون إمكانات الحاضر ، ويمدون قرون الاستشعار في جوف المستقبل ، فقد كان الصعود إلى القمر في نظرهم مستحيلاً استحالةً مؤقتة)[1] .

إن العاجزين والخاملين وأصحاب الكسل يرون في كل عملٍ استحالةً ، بينما أهل التفاؤل يرون أن كل حركة في

(١) مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية ، أ.د. عبد الكريم بكار ، ص ٦٤ (بتصرف) .

الاتجاه الصحيح تنقلنا من دائرة المستحيل إلى دائرة الممكن ، ثم إلى دائرة المتحقق الذي يصبح حدثاً غابراً في يوم من الأيام .



♦ لا تستسلم أبدا ..

من أسوأ الأشياء التي يمكن أن تحدث لأي منا أن يتحول إلى شخص " **سريع الاستسلام** " ، فلنكن كالنملة تصعد الشجرة مئة مرة وتسقط ثم تعود صاعدة حتى تصل فلا تكل ولا تمل .

وعندما يحيط التشاؤم بالناس ، ويقتنعون بأنهم ضحايا ظروف لا يتحكمون فيها ، يبدؤون في جذب الآخرين معهم ويرفضون اقتراحاتهم دون تقديم اقتراحات بديلة .

ولنتأمل أعظم مصيبة حلّت بالأمة الإسلامية وهي موته ﷺ ، فلم ينزل بالمسلمين ولن ينزل بهم مصيبة أشدُّ عليهم من فقدهم للنبي ﷺ فقد كانوا يَجدون فيه الأب الرحيم والحاكم العادل والقدوة الفاضلة ، يُخالطهم ويُحبهم ويحبونه ، يحل لهم مَشاكلهم ويواسي مَنكوبهم ويُحسن إليهم جميعاً . يقول النبي ﷺ : ((**فإن أحداً من أمتي لن يصاب بمصيبة أشدَّ عليه من مصيبتي**))[1] قال القرطبي – رحمه الله – : (**قال أبو عمر : وصدق رسول الله ﷺ ؛ لأن المصيبة به أعظم من كل مصيبة يصاب بها المسلم بعده إلى يوم القيامة**) [2]، يقول ابن رجب – رحمه الله تعالى – : (**ولما توفي رسول الله ﷺ اضطرب المسلون فمنهم من دُهِش**

---

(١) أخرجه ابن ماجه في سننه ، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه (٢٦٧/١) .

(٢) الجامع لحكام القرآن ، القرطبي ، (١٧٦/٢) .

فَخُوْلِط ، ومنهم من أُقعد فلم يطق القيام ، ومنهم من أنكر موته بالكلية)[1].

وقد واجه الصحابة رضوان الله عليهم هذا المصاب الجلل وعايشوه وذاقوا مرارته وغصته ، ولكن هذا المصاب لم يثنهم عن نشر الدين والدعوة إليه ؛ لأن الدعوة لا ترتبط بالأشخاص بل هي دين قائم ، يذهب الأشخاص ويقيض الله لهذا الدين من يحمله جيلاً بعد جيل والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔاۗ وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾[2].

يقول القرطبي – رحمه الله –: **(فأعلم الله تعالى في هذه الآية أن الرسل ليست بباقية في قومها أبداً ، وأنه يجب التمسك بما أتت به الرسل وإن فَقَدوا الرسول بموت أو قتل.. فهذه الآية من تتمة العتاب على المنهزمين أي لم يكن لهم الانهزام وإن قُتِلَ محمدٌ ، والنبوة لا تدرأ بالموت، والأديان لا تزول بموت الأنبياء)**[3].

(١) لطائف المعارف ، ابن رجب ، ص ١١٣.

(٢) سورة آل عمران ، آية (١٤٤) .

(٣) الجامع لأحكام القرآن ، القرطبي ، (٤/٢٢٢) .

وأن الله سبحانه وتعالى وعد على لسان رسوله ﷺ أن يبلّغ هذا الدين ما بلغ الليل والنهار – ووعده حق – حيث قال ﷺ: ((**ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر[١] ولا وبر[٢] إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعزّ الله به الإسلام أو ذلاً يذلّ الله به الكفر**))[٣].

لقد كان سيد التابعين عطاء بن أبي رباح أسودَ ، أعورَ ، أفطسَ ، أشلَّ ، أعرج ، ثم عمي بعد ذلك ، وقال عنه إبراهيم الحربي : كان عطاء عبدا أسود لامرأة من أهل مكة وكان أنفه كأنه باقلاء .. ستة عيوب كانت في عطاء ، فما نظنه قد فعل بها ؟ هل تكسرت عزائمه؟ هل بكى وهو يائس منتظراً موته للخلاص من الدنيا والخلاص من تهكمات الناس وسخريتهم ؟ هل قال عطاء لنفسه : عبد مملوك سأظل هكذا إلى الأبد ، أنا أسود وأعور وأشل و.. لن يتقبلني أحد؟!

---

(١) المدر : جمع مدرة بوزن شجرة وهي اللبن بكسر الباء الذي تستخدمه بيوت المدن والقرى.

(٢) الوبر : هو شعر الإبل الذي يتخذ منه ومن نحوه الخيام بيوتاً لسكان البوادي والمعنى أن دين الإسلام يبلغ جميع سكان الأمصار والقرى والبوادي . (بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني (١/٩٠)).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٤/ ١٠٣)، وقال عنه الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد (٦ /١٤) : (رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح)، وقال الألباني : على شرط مسلم وله شاهد على شرط مسلم أيضاً [تحذير الساجد ، ص (158)].

لقد كان لعطاء أذنان تسمعان ، ورجلان تمشيان ، كان لعطاء لسان يتكلم ، ويداً تكتب وعقل يفكر ويحفظ.. هذا ما وجده عطاء في نفسه ، كان ينظر بعين المتفائل الراضي الذي يمتلك الكثير من النعم .. لقد كان يعلم أن التغيير يبدأ من الداخل .

صاح المنادي في زمن بني أمية في مكة أيام الحج : لا يُفْتِ الناسَ إلا عطاء . وقال عنه الإمام أبو حنيفة : ما رأيت أفضل من عطاء. وقال الإمام إبراهيم الحربي : جاء سليمان بن عبد الملك أمير المؤمنين هو وابناه إلى عطاء ، فجلسوا إليه وهو يصلي ، فلما صلى التفت إليهم ، فما زالوا يسألونه عن مناسك الحج ، وقد حول قفاه إليهم ، ثم قال سليمان لبنيه : قوما ، فقاما .. فقال : يا بني لا تَنِيا في طلب العلم فإني لا أنسى ذلنا بين يدي هذا العبد الأسود .

لقد أصبح عطاء بن أبي رباح عالم مكة في زمنه .. رسم صورة ذهنية متفائلة مشرقة عن نفسه وواقعه ، فكان له ما رأى وتوقع[1] .

فلم يستسلم عطاء لهذه الظروف ، ولم تمنعه من طلب العلم والتفقه فيه .

---

(١) هكذا هزموا اليأس ، ص ٦٧ [بتصرف].

ولنتأمل سيرة النجاح رغم الصمم ! فقد دخل الرافعي في نحو الثانية عشرة من عمره ، فأتم الدراسة الابتدائية ، ولكنه لم يتجاوزها ، إذ أصيب بمرض شديد لم يتركه إلا بعد أن أثر في أعصاب سمعه ، فأخذ سمعه يضعف ويثقل حتى أصبح أصم وهو لم يتجاوز الثلاثين من عمره ، فلم يعد يصله من أحاديث الناس شيء .

انكب الرافعي على الدروس والمطالعة ، وحصل على عمل فعُهِد إليه بالكتابة في بعض المحاكم الشرعية ، واستقر أخيراً في محكمة طنطا ، يتولى الكتابة فيها إلى يومه الأخير .

ولم يساعده الصمم على الاختلاط الكثير بالناس، ولكنه كان حسن العشرة دقيقاً في أعماله ، كما عرف فيه تدينه وغيرته على التقاليد الموروثة عن السلف .

ترك الرافعي رغم حياته القصيرة نسبياً تراثاً أدبياً ، فقد خلف ديوانين في الشعر إضافة إلى كتب أدبية عديدة وقصائد عديدة متفرقة، وقد شرح في (وحي قلم) النكبات التي تغشى اليائس فيعتقد أن بها نهايته وربما كان في الحقيقة بين زواياها انبلاج الأمل فيقول : (ما أشبه النكبة بالبيضة ، تُحسب سجنا لما فيها من سائل ، وهي تحوطه وتربيه وتعينه على تمامه ، وليس عليه إلا الصبر إلى مدة والرضا إلى غاية ، ثم تفقس البيضة ، فيخرج خلقاً آخر ،

وما المؤمن في دنياه إلا كالفرخ في بيضته ، عمله أن يتكون فيها ، وتمامه أن ينبثق شخصه الكامل ، فيخرج إلى عالمه كاملاً).

وهذا لويس برايل أصيب بالعمى في سن الثالثة ورغم ذلك أصبح فيما بعد مدرساً في باريس ، وقام بوضع أسلوب الكتابة الشهير للمكفوفين والذي سمِّي باسمه .

فهكذا هم المتفائلون يحولون أي عقبة في طريقهم إلى تحدٍّ يرسمون به قصة نجاح[1] .

في بعض الأحيان ، وبمجرد أن تقابلنا مشكلة كبيرة ، فإننا نهرب منها ونبحث عن طريق أسهل وأن نكف عن المحاولة ، وهذا سيحولنا إلى أشخاص تعساء لم يحققوا الكثير في حياتهم .

يذكر لنا صاحب كتاب : **"خطوات بسيطة : تسعة أشياء يمكن أن تفعلها لتعيش حياة رائعة "** موقفاً مع نملة سوداء وحيدة يقول : **(كانت هذه الحشرة الصغيرة تسير أمام قدمي ، وأرجلها الصغيرة تتحرك تباعاً . ولقد أدركت حينها أنني لم اشهد نملة مطلقاً قبل هذه اللحظة ، ولكنني تذكرت على الفور الصفات التي تشتهر بها النملة من الحكمة وسعة الحيلة .**

---

(١) هكذا هزموا اليأس ، ص ٧٢ [بتصرف].

لقد اعتقدت أنه سيكون من الممتع اختبار سعة الحيلة لدى هذا المخلوق الصغير ، لذا فقد صنعت تلاً من الرمال في طريق هذه النملة لأرى كيف ستتمكن من اجتيازه . وأظن أنه كان بمثابة جبل بالنسبة لهذه النملة . إلا أنها استمرت في السير وتسلق هذا التل دون توقف ، حتى بلغت الذروة ، وهبطت من الناحية الأخرى .

بعد ذلك ، قمت بعمل حفرة صغيرة لتشكل وادياً في مسارها ، فاستمرت في سيرها داخل هذه الحفرة ثم خرجت منها دون أن تتوقف . ثم وضعت حجراً معقول الحجم في مسار هذه النملة ، فحاولت أن تتسلق الصخرة وجاهدت قليلاً حتى وقعت . وبدا أنها تعيد تقييم الموقف ثم دارت حول الصخرة .

وفي النهاية ، جربت معها عائقاً أخيراً . فقمت بوضع عصا أمامها ، فجاهدت هذه النملة للتغلب على هذه المشكلة أيضاً حتى وجدت طريقها لتخطي هذه العقبة عن طريق تغيير اتجاهها والبحث عن طريق بديل .

لقد اجتازت هذه النملة بعض الاختبارات الصعبة ، لكنها خلالها جميعاً استمرت في التقدم . ولم تتوقف في أية لحظة ولو لثانية . وعلى قدر ما أذكر لم تغير ما كانت تقوم به على الإطلاق ، ألا وهو التقدم للأمام . يا لها من قوة دافعة ! واعتقد أيضاً أنها لم تَشْكُ أو تتذمر . على

خلاف الشخص الذي تواجهه مشكلة ، فهي لم تلجأ لصديق تشكو له ، ولم تشعر بالإرهاق ولم تأخذ راحة ولم تتوقف لتفكر في المشكلة قبل أن تحاول مرة أخرى كما أنها لم ترجع إلى مستعمرة النمل لتطرح عليها المشكلة وتعود مع لجنة من حكومة النمل لدراسة هذه العقبة .

لقد أدركت هذه النملة أن هناك شيئاً واحداً عليها القيام به وهو الاستمرار في التقدم للأمام . لقد بدا أنها تعرف أن هذا هو كل ما تحتاجه للوصول في النهاية إلى وجهتها. وأعتقد أنها وصلت إلى وجهتها عندما توقفت عن وضع العراقيل في طريقها .

أليس من المثير للعجب أن أتعلم هذا الدرس ليس من المرتفعات ولكن من مكان قريب جداً من الأرض عند أطراف قدمي ؟

ولكنه كان بالنسبة لي عرضاً حياً لرسالة مهمة للغاية، وهي أننا لا يجب أن نتوقف عند كل عقبة تضعها الحياة في طريقنا . نعم ، قد نحتاج إلى التوقف لبرهة ونفكر في الخيارات المتاحة ونضع الخطط)[1] .

ولنتعلم من الطفل كيف يتعلم المشي .. وكيف أنه يقع مراراً وتكراراً لكنه لا يستسلم أبداً ، قال أحدهم :

---

(١) خطوات بسيطة : تسعة أشياء يمكن أن تفعلها لتعيش حياة رائعة ، د. آرثر كالياندرو وباري لينسون ، ص٢٩.

(لا يحظى المرء بالنجاح[1] إلا حينما ينتقل من فشل إلى فشل ، ومن خيبة إلى خيبة دون أن يفقد بذلك حماسه الداخلي).



(١) لا يقاس النجاح بمقارنة ما حققته أنت بما يحققه الآخرون . بل يقاس بما حققته أنت بالنسبة لما يمكنك أن تحققه أنت أيضاً ، وقد قرأت ذات مرة أن الشخص العادي لا يحقق طوال حياته سوى ١٠٪ فقط من إمكانات النجاح الكامنة فيه .

◆ **لنتقبل أنفسنا كما هي ونبدأ بتطويرها ..**

لنتقبل مأساتنا، وبالرغم من صعوبة تقبلنا للأمر ، فإن المأساة في الواقع هي جزء متوقع من الحياة ، من موت أحد الأبوين ، أو الإصابة بمرض .. فتحدث الأمور المأساوية بشكل لا يمكن منعه، وهي جزء من التجربة البشرية ، إلا أن بعضنا يظل غارقاً في المأساة ويسمح لها أن تخرجه عن مساره وتحطم حياته في حين يكون البعض الآخر قادراً على تصورها والتخلص من تأثيرها والمضي قدماً.

يمكن للمآسي أن تفتح للبعض منا أبواباً مهمة للتغير الذاتي والنضج .

يقول حكيم فارسي : ما شكوت الزمان ، إلا عندما حفيت قدماي ، ولم أستطع شراء حذاء فدخلت مسجد الكوفة ، وأنا ضيق الصدر ، فوجدت رجلا بلا رجلين ، فحمدت الله وشكرت نعمته علي .

ولننظر إلى كثير من علمائنا الذين فقدوا أبصارهم وهم صغار ، لم يمنعهم ذلك من مواصلة حياتهم ونجاحاتهم ، بل لا أبالغ عندما أقول إن ما حققوه يضاهي ما حققه المبصرون ، وذلك عندما تقبلوا أنفسهم وطوروها.



- **لا تذرف الدموع على ما مضى ، فالذين يذرفون الدموع على حظهم العاثر لا تضحك لهم الدنيا ، والذي يضحكون على متاعب غيرهم ، لا ترحمهم الأيام ..**

لا تَبْكِ على اللبن المسكوب .. بل ابذل جهدا إضافيا حتى تعوض اللبن الذي ضاع منك . فالمتفائل لايندب حظه ، ولا يقف على الأطلال باكياً وشاكياً ، ولا يعترف بقول : " لو أن ، ولولا أن " ، ولا يندب حظه عندما يخسر ، بل إنه يركز على الحلول ، لا على المشاكل .

وقد ذكر الله تعالى الأمم في كتابه وما فعلت ثم قال : ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ﴾[1] انتهى الأمر وقضي ، وبقي أن نستفيد من دروسهم .

وتذكر قول رسول الله ﷺ : ((وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان))[2] ، واعتبر كل فشل يصادفك إحدى تجارِب الحياة التي تسبق كل نجاح وانتصار .. فالليل مهما طال فلا بد من بزوغ الفجر . قال أحدهم : "النجاح سلالم لا تستطيع أن ترتقيها ويداك في جيبك!!" .

---

(١) سورة البقرة ، آية (١٣٤) .

(٢) رواه مسلم.

ألم تر أن الليل بعد ظلامه

عليه لإسفار الصباح دليلُ

ولننظر للفشل على أنه خبرة نستعين بها لإنجاز أهدافنا لا أن تكون دليلاً قاطعاً لا يقبل النقاش على أننا فاشلون ؛ لأن الفشل يتسبب في انكفاء الناس على أنفسهم، فيتجنب بعضهم بعضا ، فيبدؤون في إخفاق المعلومات ويتنصلون من المسؤولية.

نعم كل الناس يفشلون في شيء ما أو في مرحلة من مراحل حياتهم ، وهذا أمر لا يمكن تفاديه ، ولكن يمكننا أن نتعلم منه ونتعامل معه ، فقد يكون الفشل خطوة على طريق النجاح لم نَخْطُها بعد[1] .

وفي كل الأحوال ، يجب أن نتحمل مسؤولية ما حدث . هذا لا يعني أن نَصُبَّ غضبنا على أنفسنا ، وأن نعيش محملين بعقدة الذنب ؛ ولكن علينا أن نعيد تقييم الأمور من وجهة نظر جديدة .

وخذ مثالاً على ذلك الأحداث التي مرت على المسلمين بعد هزيمة غزوة أحد ، فالتحسرات المفجوعة سيطرت على ضعفاء الإيمان بعد غزوة أحد ، فإن الخسائر التي أصابت أهل المدينة بعد هجوم المشركين عليها خلّفت آثاراً غائرة ،

(١) في داخل كل منا بذور للنجاح تعادل بذور الفشل .

وفتحت أمام الحاقدين على الإسلام ثغرات للتشفي واللمز، لكن الله عز وجل أنزل آياتٍ مفصَّلة في مداواة هذا الجرح ولَمِّ شمل المسلمين عقب النكبة التي أصابتهم ، فكان من تأديبه لهم أن علق عيونهم بالمستقبل ، وصرف أذهانهم عن الماضي ، وزجرهم عن الوقوف بأطلال الأمس يبكون ويولولون .

لا ليست هذه شيمة الرجولة ولا منطق الإيمان يجب أن نعرف سر الخطأ لنتقيه في المستقبل ولا ننظر فيما وقع إلا بمقدار ما نستخلص العبرة منه وذاك ما تكفل به القرآن الكريم فقد أشار إلى علة الهزيمة في إيجاز ﴿ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ ۚ ﴾[1] ، ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟ ۖ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ ﴾[2] . ثم واساهم بما يهون وقع الألم عليهم فإن الألم إذا قيد النفوس بسلاسله الغلاظ ربطها في زمن يتحرك فلم نحسن شيئا ولم نكسب خيراً .

ما قيمة لطم الخدود وشق الجيوب على حظ فات ؟! .

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٥٢).

(٢) سورة آل عمران ، الآية (١٥٥).

ما قيمة أن ينجذب المرء بأفكاره ومشاعره إلى حدث طواه الزمن ليزيد ألمه حرقةً وقلبه لذعاً ؟! .

لو أن أيدينا يمكن أن تمتد إلى الماضي لتمسك حوادثه المدبرة فتغير منها ما تكره وتحورها على ما تحب لكانت العودة إلى الماضي واجبة ولهرعنا جميعاً إليه نمحو ما ندمنا على فعله ونضاعف ما قَلَّتْ أَنْصِبَتُنا منه ، أما وذلك مستحيل فخير لنا أن نكرس الجهود لما نستأنف من أيام وليالٍ ففيها وحدها العوض .

إن المرء ليس متهماً في حرصه على مصلحته فإذا ضاعت هذه المصلحة لسبب ما خصوصاً تلك التي تتصل بالآجال والأرزاق فلنجعل من إيماننا بالله وقدره ما يحجزنا عن التعلق بالأوهام والحماقات .

إن الطائرة تسقط من الجو بما فيها ومن فيها فإذا قدرة الله تكشف عن جثث محترقة وعن أطفال ورجال لم يمسسهم سوء ! فلماذا لا نعترف بالقدر الأعلى فيما يقع ؟. ونرد إليه ما يغلبنا على أمورنا ليكون من ذلك سلوى ورضا؟ .

يقول "ديل كارنجي": **(من الممكن أن تحاول تعديل النتائج التي ترتبت على أمر حدث منذ ١٨٠ ثانية أما أن تحاول تغيير الأمر فهذا الذي هو لا يعقل . وليس ثمة إلا طريقة واحدة يمكن بواسطتها أن تصبح الأحداث الماضية**

إنشائية مجدية تلك هي تحليل الأخطاء التي وقعت في الماضي والاستفادة منها ثم نسيانها نسياناً تاماً ، وأنا أومن بهذا ولكن هل تراني أملك الشجاعة دائماً لأفعل ما أومن به قال : حدثني " سوندرز " أن مستر " براندوين " مدرس الصحة بكلية " جورج واشنجتون " علمه درساً لن ينساه أبداً ثم قص علي قصة هذا الدرس فقال : (لم أكن بعد قد بلغت العشرين من عمري ولكني كنت شديد القلق حتى في تلك الفترة المبكرة من حياتي فقد اعتدت أن أجتر أخطائي وأهتم لها هماً بالغاً وكنت إذا فزعت من أداء امتحان وقدمت أوراق الإجابة أعود إلى فراشي فأستلقي عليه وأذهب أقرض أظافري وأنا في أشد حالات القلق خشية الرسوب لقد كنت أعيش في الماضي وفيما صنعته فيه وأود لو أني صنعت غير ما صنعت وأفكر فيما قلته منذ زمن مضى وأود لو أنني قلت غير ما قلت .

ثم إني في ذات صباح ضمني الفصل وزملائي الطلبة وبعد قليل دلف المدرس " مستر براندوين " ومعه زجاجة مملوءة باللبن وضعها أمامه على المكتب وتعلقت أبصارنا بهذه الزجاجة وانطلقت خواطرنا تتساءل ما صلت اللبن بدروس الصحة ؟ وفجأة نهض المدرس ضارباً زجاجة اللبن بظهر يده فإذا هي تقع على الأرض ويراق ما فيها وهنا صاح " مستر براندوين " : لا يبكي أحدكم على اللبن المراق . ثم

نادانا الأستاذ واحداً واحداً لنتأمل الحطام المتناثر والسائل المسكوب على الأرض ثم جعل يقول لكل منا : انظر جيداً إنني أريد أن تذكر هذا الدرس مدى حياتك لقد ذهب اللبن واستوعبته البالوعة فمهما تشد شعرك وتسمح للهم والنكد أن يمسكا بخناقك فلن تستعيد منه قطرة واحدة لقد كان يمكن بشيء من الحيطة والحذر أن نتلافى هذه الخسارة ولكن فات الوقت وكل ما نستطيع أن نمحو أثرها وننساها ثم نعود إلى العمل بهمة ونشاط . ذلك حق وإليه يشير الحديث الشريف : ((استعن بالله ولا تعجز وإن أصابك شيء فلا تقل لو أني فعلت كذا كان كذا وكذا ولكن قل : قدر الله وما شاء فعل فإن لو تفتح عمل الشيطان)))[1] .



(١) جدد حياتك ، ص ١٠٢ .

◆ لنصحب المتفائلين..

ولنقرأ سيرهم؛ لأن الإنسان يتأثر بمن حوله ، والناس الذين نقضي معهم الوقت سوف يغيرون حياتنا بشكل أو بآخر فإذا ارتبطنا بأناس متشائمين فسوف يجروننا معهم وعادة ما تختفي الإمكانيات والفرص ، وعلى الجانب الآخر نجد أن التفاؤل ينتشر بين الأفراد كالعدوى إذا ما تحدثنا مع شخص متفائل ، وإذا ارتبطنا بأشخاص يدعموننا في ما نحن عليه من تفاؤل فسوف يدعموننا، وكل الناس يستطيعون تحقيق التفاؤل الذي حققه الآخرون ، إذا تبعوا استراتيجيات المتفائلين نفسها ، كما أن أي شخص قادر على فعل أي شيء فمن الممكن لأي إنسان أن يتعلمه ويفعله إذا اقتبس منهم، فالله تعالى يقول : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[1]، فمصاحبة الصادقين تورث الصدق ، والرسول ﷺ يقول: ((**المرء على دين خليلة فلينظر أحدكم من يخالل**)) واجعل نفسك أيضاً قدوة للآخرين في تفاؤلك، وإياك وأحاديث اليائسين ومرافقة المحبطين زُرَّاع الهزيمة.

قال الإمام الشاطبي : (**التأسي بالأفعال – بالنسبة لمن يُعظم في الناس – سر مبثوث في طباع البشر ، لا يقدرون**

(١) سورة التوبة ، الآية (١١٩) .

على الانفكاك عنه بوجه ولا بحال ، ولا سيما عند الاعتياد والتكرار) [(١)].

يُذكر أن رجلاً كان نائماً في المستشفى على ظهره، وآخر إلى جواره يحدثه، ويقول له: إنه ينظر من خلال النافذة إلى الجو في الخارج. إنه جو عليل، والمطر يتساقط، والناس يتراكضون بفرح وسرور، ويوماً آخر ينظر إلى الحديقة وجمالها، ويوماً ثالثاً ينظر إلى صديقين التقيا بعد طول فراق؛ فضم بعضهما إلى بعض، وضحك أحدهما إلى الآخر، وانهمكا في حديث ودي جميل. ولا يزال يصف له من المشاهد التي يراها عياناً؛ فيدخل السرور على هذا المريض، ويتفاعل معها كأجمل ما يكون التفاعل.

وذهب هذا الرجل الذي يشاهد الأشياء خارج المستشفى إلى مكان آخر، ففقد الرجل الصوت، ولم يعد يسمع بأذنه تلك المشاهد الجميلة، وحينما سأل تبين له أن الذي كان يصف له رجل أعمى، وأن النافذة في غرفته، إنما تطل على منور ضيق، ليس فيه إلا نور ضعيف، ثم الجدار، لكن ذلك الرجل كان يقرأ بقلبه .

---

(١) الموافقات للإمام الشاطبي(٢٤٨/٤) .

أيهذا الشاكي وما بك داء

كن جميلاً تَرَ الوجود جميلاً

فإذاً نحن نتعلم كيفية التفاؤل من الأشخاص المتفائلين لا من المحبطين والمتشائمين كما أننا نتعلم النجاح من الأشخاص الناجحين ، ولا نأمل أن نحظى بهذا القدر من التعلم من هؤلاء الذين لم يحققوا نجاحاً فيما نود فعله .

كما لا بد أن أنبه إلى ضرورة أن يكون الوالدان والمعلمون والوسط المحيط بالأبناء متفائلين كي لا يؤثر ذلك عليهم بالإحباط ، فحديث المعلم والأب أو الأم عن الفشل والمستحيل لن يزرع في نفوس أبنائنا إلا الإحباط ، فالأطفال يستمعون لنا بإنصات ، ولو كان ما يسمعه على الدوام مثل " أنت غبي " "أنت غير جيد" فإن ذلك يسلك طريقه ؛ ليصل لنظرية فهم الذات ، بعكس لو قيل له " أنت ذكي ولكن كان إخفاقك في الامتحان لأنك لم تركز أثناء الدراسة " [1] .

---

(١) ماذا تقول لأبنائك إذا ارتكبوا خطأً ما ؟ ماذا يقول لهم معلموهم ؟ من الملاحظ أن الأطفال يستمعون بحرص ، ليس فقط للمحتوى ، ولكن لطريقة الإلقاء ، فلا ينصتون فقط لما يقوله البالغون لهم ، ولكن بكيفية إلقاء البالغين لذلك الكلام . ذلك له شأن كبير عند النقد . إن الأطفال يصدقون ما يوجه إليهم من انتقادات ؛ ويستخدمونها ؛ ليشكلون أسلوبهم التفسيري .

تمرين:

الآن .. لنأخذ كراساً وقلماً ولنجب عن :

- لنسجل خمسة أسماء لأشخاص المتفائلين ، ولنذكر صفاتهم بالتفصيل؟
- ما أفكارهم ومعتقداتهم (نحو الحياة مثلاً) ؟
- ما سلوكياتهم ؟
- ما طريقة حديثهم ؟
- كيف يفكرون ؟
- كيف يفسرون الأحداث والوقائع من حولهم ؟
- ما رؤاهم ، وأهدافهم ، وكيف يصلون لها ؟
- لنختر واحداً منهم نقضي معه بعض الوقت هذا الأسبوع؟ .



◆ لنبرمج لغتنا على الكلمات المتفائلة ولنستخدم نبرة صوت مبتهجة ..

فلنؤكد لأنفسنا أننا نملك أشياء كثيرة يمكن أن نحصل عليها ، ولنحاذر ونحارب بشراسة وضراوة اللغةَ المتشائمة التي كثيراً ما تطل بشكل عفوي ، عبر كلمات مأثورة ، أو عبارات دارجة على اللسان، كلماتنا تعكس توجهاتنا واستعداداتنا . وما يغيب عن أذهاننا يغيب عن كلماتنا ؛ لأن الكلمات هي تحضير للأفعال التي نزمع القيام بها.

وقد ثبت علمياً أن الشخص الذي يصرح بأنه جائع يأكل أكثر من الذي لا يجاهر بجوعه . وأن الذي يهدد بالعنف يلجأ إليه أكثر من الشخص الذي يعبر عن كرهه للعنف . وتبين أيضاً أن الذين يتحدثون كثيراً عن السعادة يكونون أكثر مرحاً من الذين يتحدثون عن الأسى والتعاسة .

وتأثير الكلمات على من يقولها أقوى من تأثيرها على من يسمعها. وهي تعبر عن استعدادات نفسية وتحدد الخيارات التي يجعلها الشخص محوراً لتفكيره . فإذا استطعنا تغيير كلماتنا ، فسنتمكن فعلاً من تغيير أفعالنا[1] .

---

(١) كيف يؤثر كلامنا على أعمالنا سبع لغات تحول السلبيات إلى إيجابيات ، روبرت كيجان وليزا لاسكو لاهي ، الشركة العربية للإعلام العلمي (شعاع) ، العدد(٢٧٠).

إيانا أن نتحدث عن حظنا العاثر!

إيانا أن نتحدث عن حياتنا التعيسة!

إيانا أن نسمح للحظة عابرة من الإخفاق أو الفشل أن تحكم على حياتنا كلها.

وإن الكلمات الإيجابية ضرورية، وعلينا أن نتدرب كيف نقولها، وكيف نلقيها.

قال: السّماءُ كئيبةٌ، وتجهّما

قلتُ: ابتسم، يكفي التجهّمُ في السَّما

قال: الصِّبا ولّى، فقلتُ له: ابتسم

لن يرجعَ الأسفُ الصِّبا المتصرِّمَا

(إن الأشخاص الناجحون يتحاشون استخدام ألفاظ سلبية مثل كلمة خائف، ولكنهم يستخدمون – بديلاً عن ذلك – كلمات أكثر حياداً أو إيجابية مثل كلمة مشغول، وبتغييرنا فقط لطبيعة ألفاظنا من السلبية إلى الحياد أو الإيجابية، فإننا بذلك نغير من طبيعة مشاعرنا)[1].

---

(١) التفاؤل التلقائي، د. مايكل ميرسر، د. ما ريان ترويانى، ص ٢٦.

تمرين :

في الجدول الآتي لنضع قائمة بالكلمات التي نستخدمها وتبعث على القلق والضيق في العمود الأيمن ، ثم نستبدلها في العمود الأيسر بأخرى محايدة أو إيجابية :

كلمات تبعث على القلق	كلمات تبعث على التفاؤل
خائف	مهتم
مشكلة	فرصة
لا أستطيع	أستطيع بإذن الله

بعد انتهائك من كتابتها مزق الجزء الأيمن منها وارمه في سلة المهملات والذي يحتوي على كلمات تبعث على القلق ، وأطل النظر بالكلمات التي تبعث على التفاؤل ولتستخدمها كثيراً .

وللأسف أننا نسمع ونرى كثيراً ممن يتصدرون للحديث أمام الناس يتحدثون بطريقة تحبط أُمة كاملة ، بينما كان الواجب عليهم أن يتحدثوا وهم متفائلون ، وقد ذكر **"د. تشاد هلمستر"** أنه حتى سن (١٨) الثامنة عشرة نكون قد تلقينا ١٥٠,٠٠٠ - ٢٠٠,٠٠٠ رسالة سلبية وفقط ٤٠٠ - ٦٠٠ رسالة إيجابية !! .

تمـرين : سـجل (١٠) كلمـات سـلبية تكثـر مـن ذكرهـا يوميـاً ، واستبدلها بكلمات إيجابية (متفائلة)؟.

وعلينـا أن نكثـر مـن ترديـد الكلمـات المتفائلـة مثـل : أنـا موافـق ، أنـا سـعيد ، أنـا نـاجح ، ... ، ويمكـن أن نـشحن التأكيدات بكتابتها وتعليقها .



◆ لنتصرف وكأننا أشخاص متفائلون ..

إحدى التقنيات / المهارات التي تساعد على التفاؤل هي القدرة على استخدام التصور أي تكوين صور خيالية ذهنية لنا وقد أصبحنا متفائلين ، وكيف نعيش لحظات الإنجاز وما يصاحب ذلك من فرحة وسرور بإنجاز ذلك .

(إذا أردنا أن نستشعر حالة من السعادة ، فلنتصرف وكأننا أشخاص سعداء ، فالناس الذين يؤمنون بأن الأسباب التي ترجع إليها الأحداث السارة تعد دائمة ومستمرة ، يعدون أكثر تفاؤلاً من الذين يؤمنون بأن أسباب حدوث المواقف السارة تعد مؤقتة)[1] .

(والأشخاص الذين يدركون استمرار الأسباب التي توجد الأحداث السارة ، يحاولون أن يعملوا بجد أكثر وأكثر بعدما ينجحون ، أما أولئك الذين يرون وقتية الأسباب التي تواجههم ، ربما يقلعون عن العمل بعد نجاحهم ؛ لأنهم يعتقدون أن هذا النجاح ما هو إلا ضرب من الحظ)[2] .

(يُروى في التراث الصيني أن مزارعاً فقيراً في قرية كان يملك حصاناً ، وكان أهل القرية كذلك مزارعين فقراء ولكنهم لا يملكون أي حصان ، وفي ذات صباح تجمع أهل

---

(١) تعلم التفاؤل ، د. مارتين سليجمان ، ص ٧٨.

(٢) تعلم التفاؤل ، د. مارتين سليجمان ، ص ٨٠.

القرية عند المزارع الفقير وقالوا له : ما أسعدك ! ما أحسن حظك ! كلنا لا يملك حصاناً وأنت تملك حصاناً يساعدك في الزرع ويحملك إلى حيث تريد .

التفت المزارع إليهم باسماً وهو يقول : ربما .

وفي ذات صباح اختفى حصان الرجل الفقير ، فتجمع أهل القرية فقالوا للمزارع : يا مسكين ، يا تعيس الحظ ، هرب حصانك ، هرب الذي كان يساعدك ، ما أسوأ حظك .

فالتفت المزارع إليهم باسماً وهو يقول : ربما .

وفي فجر صباح الغد : رجع الحصان وبصحبته حصانٌ وحشيٌّ قد ألِفَ حصان المزارع .

فتجمع أهل القرية عند المزارع فقالوا : ما هذا الحظ العظيم !

يا لك من محظوظ ، قد صار عندك حصانان .

فالتفت الرجل إليهم باسماً ، وهو يقول : ربما .

وفي مغرب ذلك اليوم وعند انتهاء العمل ، أحب الابن الوحيد للمزارع أن يركب الحصان الوحشي ليروضه ، فامتطى ظهره ، وما هي إلا خطوات حتى هاج الحصان الوحشي وسقط الابن وكسرت يده ، فأتى أهل القرية للمزارع قائلين : يا لرداءة حظك ، يا لحظك العاثر ،

ابنك الوحيد كسرت يده ، من سيساعدك في حراثة الأرض؟ من سيشاركك العمل بعده؟ يا لك من مسكين .

فالتفت إليهم باسماً وهو يقول : ربما .

وتمضي أيام قليلة .. وإذا بالجيش الصيني داهم القرية وأخذ كل شباب القرية ، لأنه يتأهب لخوض حرب قادمة لعدو قريب يتربص ، دخل أفراد الجيش بيوت الفقراء ، أخذوا كل الشباب لم يدعوا أحداً ، لكنهم عندما دخلوا إلى بيت المزارع الفقير وجدوا ابنه مكسور اليد ، قد لُفت يده بجبيرة ، فتركوه .

فتجمع أهل القرية عند المزارع وقالوا : لم يدَعوا شاباً من شبابنا إلا أخذوه ، ولم يتركوا أحداً إلا ابنك ، ما هذا الحظ العجيب؟! .

فالتفت الرجل إليهم باسماً كعادته وهو يقول : ربما)[1] .

كذلك الأشخاص الذين يرون أن أسباب فشلهم ستدوم في جميع مواقف حياتهم ، يستسلمون ويقلعون عن كل شيء إذا ما أصاب الفشل[2] أحد أوجه أنشطة حياتهم ، أما هؤلاء الذين يفسرون أسباب فشلهم في موقف ما بأنها

---

(١) كيف أصبحوا عظماء ، د. سعد سعود الكريباني ، ص ١٧٧ .

(٢) الفشل ليس بعدد الأخطاء المرتكبة بل باللحظة التي تقرر فيها التوقف عن المحاولة .

مؤقتة ، وأنها حدثت نتيجة ظروف معينة ، فربما يشعرون باليأس في هذا الموقف فقط .

والشخص المتفائل يحدث نفسه بطريقة بنّاءة ويمكن توضيح ذلك بالمثال التالي :

<u>مثال :</u> لو كان لدينا شخصان (أ) شخص متفائل و(ب) شخص متشائم وكانا يعملان مندوبين لخدمة العملاء في إحدى الشركات التي يرغبان أن يشارك العميل في برنامج الشركة الجديد ، فإذا رفض العميل هذا البرنامج فستكون ردة الفعل لهما هي :

موظف (أ) متفائل	موظف (ب) متشائم
يتحدث لنفسه بطريقة بناءة مثل : "كان العميل مشغولاً في لحظة الاتصال به "، لم يناسب العميل البرنامج ، وينسى هذا العميل بعد أن يستفيد من أخطائه في إقناعه ليبحث عن عميل آخر، فلا يحزن من الباب الذي أغلق في وجهه ؛ لأنه قرر أن يطرق باباً آخر.	يقول لنفسه : " أنا فاشل " ، "لا أجيد فن الإقناع " ، ويتذكر الفشل دائماً. فهو لا يثق في مهاراته ، ويخشى الفشل في المرات السابقة بدل أن يركز على النجاح.

من المثال السابق يتبين لنا الفرق بين المتفائلين والمتشائمين ، فالمتفائلون يتناسون الخسائر ، ويحاولون استثمار طاقاتهم في مكان آخر بدلاً من البحث عن أسباب للارتباط بنفس المكان و يركزون على الحل والفرص المتاحة ، بينما يركز المتشائمون على الشكوى والمعوقات.

وكذلك يرى المتفائلون أخطاءهم صغيرة وبسيطة ويمكن تعديلها ، كما أنهم يقوّمون إنجازاتهم تقويماً إيجابياً ويساعدهم على ذلك ثقتهم في أنفسهم فهم يتحلون بالمسؤولية الذاتية ، بينما يتجنب المتشائمون والفاشلون تحمل المسؤولية الكاملة فهم يطلبون من الآخرين مساعدتهم ، ولننتبه من أن نلقي اللوم على أنفسنا.

تمرين : افترض أنك قدمت أوراقك لإكمال الدراسات العليا ومواصلة دراستك العلمية في إحدى الجامعات ، وبعد المقابلة والاختبار لم يتم قبولك فكيف ستتعامل مع الموقف من وجهة نظر متفائلة ، وكيف ترى تعامل الشخص المتشائم مع هذا الموقف؟

المتفائل	المتشائم

- **لنحاول أن نذلل العثرات والمعوقات التي تواجهنا وتعرقل مسيرتنا :**

وكل شيء بقضاء وقدر ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾[١]

فإن الإنجازات تقاس بالعثرات التي تجتازها حتى تصل إلى أهدافك.

ولا ينبغي للواحد منا أن يفكر في أكثر من مشكلة في آن واحد ؛ لأن ذلك سوف يجعله يشعر بالوهن والهزيمة ، كما ينبغي علينا ونحن نبحث عن حل لمشكلاتنا أن نكون على وعي بأ لا نعرضها عن المتشائمين والمثبطين الذين لا هم لهم سوى بث اليأس ودلالة الناس على الطرق المسدودة . إن الله جل وعلا ما أنزل داء إلا أنزل له دواء، ولنجعل من المشكلات والأزمات نقاط انطلاق جديدة [٢] .

فَتَبَنِّيْ عقلية التركيز على الحلول بدلاً من الانشغال بالمشكلات أمر مهم جداً ، فالمشكلات من وجهة النظر المتفائلة هي علامات صحية تلفت أنظارنا إلى أن شيئاً لا يسير على ما يرام ، ولولاها لاستمرت الأشياء دون أن تتاح لك الفرصة لتصحيحها.

---

(١) سورة الحديد، الآية (٢٢)

(٢) عصرنا والعيش في زمانه الصعب ، أ.د. عبد الكريم بكار ، ص (١١٦) ، [بتصرف] .

ومن تلك العثرات والمعوقات التي تواجهنا في طريق الدعوة والإصلاح الفتن والمحن والابتلاءات ، والتي ينبغي علينا أن نُعد أنفسنا مبكراً لتلقيها بنفس راضية ثابتة مطمئنة ، ولنعلم أنه لا بد من الابتلاء في أنفسنا ، أو في الأهل ، أو في المال ، قال الله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1].

(إن الذين يتصدون للدعوة ، ويسيرون في طريق الإصلاح والتغيير والهداية لا بد أن يتعرّضوا للمحنة ، ولا بد أن يواجهوا بأس الحياة وضرّاءها ، ويخطئ من يظن أن طريق الدعوة دائماً محفوف بالورود والرياحين ، ومفروش بالزينات والسجاجيد، ومغتصٌّ بالمودعين والمستقبلين ، بل على الداعية أن يعلم أن الطريق قد تكون مفروشة بالصخور الكبيرة العاتية ، والأشواك اليابسة المؤذية ، والأشقياء العتاة المجرمين ، فإن لم يكن معتاداً على الثبات والاحتمال ، متروضاً على الصبر والمصابرة فإنه يهزم في أول لحظات المحنة ، ويتقهقر في أول لمحات البلاء ، ويقعد مع القاعدين اليائسين)[2].

(١) سورة العنكبوت ، الآيات (٢ – ٣) .

(٢) صفات الداعية النفسية ، د. عبد الله علوان – رحمه الله – ، ص (٤٧).

قال ابن القيم رحمه الله تعالى في الفوائد : (**الطريق طويل، تعب فيه آدم، وناح فيه نوح، وتعرض للحرق إبراهيم، وتعرض للذبح إسماعيل، وذبح السيد الحصور يحيى، ونشر بالمنشار زكريا، وتعرض للصلب المسيح عيسى، ولاقى ما لاقى فيه محمد ﷺ**).

(هذه هي سنة الله القديمة في تمحيص المؤمنين وإعدادهم ليدخلوا الجنة وليكونوا لها أهلا أن يدافع أصحاب العقيدة عن عقيدتهم ؛ وأن يلقوا في سبيلها العنت والألم والشدة والضر ؛ وأن يتراوحوا بين النصر والهزيمة ؛ حتى إذا ثبتوا على عقيدتهم لم تزعزعهم شدة ولم ترهبهم قوة ولم يهنوا تحت مطارق المحنة والفتنة استحقوا نصر الله لأنهم يومئذ أمناء على دين الله مأمونون على ما ائتمنوا عليه صالحون لصيانته والذود عنه واستحقوا الجنة لأن أرواحهم قد تحررت من الخوف وتحررت من الذل وتحررت من الحرص على الحياة أو على الدعة والرخاء فهي عندئذ أقرب ما تكون إلى عالم الجنة وارفع ما تكون عن عالم الطين أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا

حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب)[1].

والابتلاء في تاريخ الرسالات أمر بين وواضح:

إبراهيم – عليه السلام – يلقى في النار ويتفاءل بإنقاذ الله له منها ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾[2].

لوط – عليه السلام – يتفاءل بإنقاذ الله له من قومه ﴿ وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْۖ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾[3].

موسى – عليه السلام – يتفاءل بأن الله تعالى سينجيه من القتل عندما ائتمر به الملأ ﴿ وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾[4].

شعيب – عليه السلام – وقومه ﴿ قَالُواْ يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًاۖ وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾[5].

أيوب – عليه السلام – والتفاؤل بالشفا بعد المرض ﴿ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾

---

(١) طريق الدعوة في ظلال القرآن، ٣٥١ – ٣٥٣.

(٢) سورة الأنبياء، الآية (٦٩).

(٣) سورة الأعراف، الآية (٨٢).

(٤) سورة القصص، الآية (٢٠).

(٥) سورة هود، الآية (٩١).



﴿ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ فَكَشَفۡنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرّٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنۡ عِندِنَا وَذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰبِدِينَ ﴾[1].

ومن أعظم مواقف الابتلاء ما حدث للنبي محمد ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم في بداية الدعوة من أذى ، وما حدث لهم في الجهاد وخاصة في غزوة أحد من بلاء . إذ كان الدرس فيها مكلفاً . وكلما كان الدرس مكلفاً متعباً وشاقاً ومؤلماً كانت الاستفادة منه أكمل وأعظم ، وتذكره أحضر وأقرب إلى الاهتداء به وأخذ العبرة منه .

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ يَوْمَ أُحُدٍ وَشُجَّ فِي رَأْسِهِ ، فَجَعَلَ يَسْلُتُ الدَّمَ عَنْهُ وَيَقُولُ : كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ شَجُّوا نَبِيَّهُمْ وَكَسَرُوا رَبَاعِيَتَهُ وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ . فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿ لَيۡسَ لَكَ مِنَ ٱلۡأَمۡرِ شَيۡءٌ أَوۡ يَتُوبَ عَلَيۡهِمۡ أَوۡ يُعَذِّبَهُمۡ فَإِنَّهُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴾[2] .

وعَنْ سَهْلٍ بن سعد رضي الله عنه قَالَ :لَمَّا كُسِرَتْ بَيْضَةُ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى رَأْسِهِ وَأُدْمِيَ وَجْهُهُ ، وَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ ، وَكَانَ عَلِيٌّ يَخْتَلِفُ بِالْمَاءِ فِي الْمِجَنِّ وَكَانَتْ فَاطِمَةُ تَغْسِلُهُ ، فَلَمَّا رَأَتِ الدَّمَ يَزِيدُ عَلَى الْمَاءِ كَثْرَةً عَمَدَتْ إِلَى حَصِيرٍ فَأَحْرَقَتْهَا وَأَلْصَقَتْهَا عَلَى جُرْحِهِ فَرَقَأَ الدَّمُ[3] .

(١) سورة الأنبياء ، الآيات (٨٣ – ٨٤) .

(٢) أخرجه مسلم (١٧٩١) والآية من سورة آل عمران / ١٢٨.

(٣) أخرجه البخاري(٣/١٠٦٣).

قال ابن حجر : (ومجموع ما ذكر في الأخبار أنه صلى الله عليه وسلم شُجَّ وجهه ، وكسرت رباعيته ، وجرحت وجنته وشفته السفلى من باطنها ، ووهى منكبه من ضربة ابن قمئة ، وجحشت ركبتيه)[1].

ومجمل الموقف من الذي يقفه أعداء الله من الدعوات وأصحابها يرد في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَٱسْتَفْتَحُواْ وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴾[2].

يقول سيد – رحمه الله – : (ولا بد من تربية النفوس بالبلاء ، ومن امتحان التصميم على معركة الحق بالمخاوف والشدائد ، وبالجوع ونقص الأموال والأنفس والثمرات ، قال تعالى ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَىْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ﴾[3].

لا بد من هذا البلاء ليؤدي المؤمنون تكاليف العقيدة كي تعز على نفوسهم بمقدار ما أدوا في سبيلها من تكاليف، والعقائد الرخيصة التي لا يؤدي أصحابها

(١) فتح الباري(٣٧٢/٧).

(٢) سورة إبراهيم ، الآيات (١٣ – ١٥).

(٣) سورة البقرة ، الآية (١٥٥) .



تكاليفها لا يعز عليهم التخلي عنها عند الصدمة الأولى ، فالتكاليف – هنا – هي الثمن النفسي الذي تعز به العقيدة في نفوس أهلها قبل أن تعز في نفوس الآخرين ، وكلما تألموا في سبيلها ، وكلما بذلوا من أجلها كانت أعز عليهم، وكانوا أضن بها ..

ولا بد من البلاء كذلك ليشتدَّ عود أصحاب العقيدة ويقوى ، الشدائد تستجيش مكنون القوى ومذخور الطاقة، وتفتح في القلب منافذ ومسارب ما كان ليعلمها المؤمن في نفسه إلا تحت مطارق الشدائد ، والقيم والموازين والتصورات . ما كانت لتصح وتدق وتستقيم إلا في جو المحنة التي تزيل الغبش عن العيون والران عن القلوب ، وأهم من هذا كله ، أو القاعدة لهذا كله الالتجاء إلى الله وحده حين تهتز الأسناد كلها ، وتتوارى الأوهام ، وهي شتى ، ويخلو القلب إلى الله وحده لا يجد سنداً إلا سنده ، وفي هذه اللحظة قد تنجلي الغشاوات ، وتنفتح البصيرة ، وينجلي الأفق على مد البصر : لاشيء إلا الله ، لا قوة إلا قوته و لا حول إلا حوله ، ولا إرادة إلا إرادته ، ولا ملجأ إلا إليه .. لذلك فإن الله قد وضع الابتلاء لينكشف المجاهدون ويتميزوا ، وتصبح أخبارهم معروفة ، ولا يقع الالتباس في

الصفوف ، ولا يبقى مجال لخفاء أمر المنافقين ، ولا أمر الضعاف الجزعين)[1].

(أما أصحاب اليقين وأولو العزم فهم يلقون الحياة بما في أنفسهم من رحابة قبل أن تلقاهم بما فيها من عنت. وكما يفرز الجسم عُصارة معينة لمقاومة الجراثيم الهاجمة يفرز هؤلاء معاني خاصة تمتزج بأحوال الحياة وأغياره فتعطيها موضوعاً وعنواناً جديدين .

واسمع إلى ابن تيمية وهو يقول – مستهيناً بتنكيل خصومه– إنَّ سجني خَلوة ، ونفيي سِياحة وقتلي شهادة ..!!

أليست هذه الفواجع أقصى ما يصنعه الطغاة ؟.

إنها عند الرجل الكبير قد تحوَّلت إلى نعم يستقبلها بابتسام لا باكتئاب)[2].



(١) طريق الدعوة (٢٢١ – ٢٢٢) .

(٢) جدد حياتك ، محمد الغزالي ، ص (١٥٧) .

◆ الدعاء ..

فالدعاء تفاءل؛ فإن العبد يدعو ربه فيكمل بذلك الأسباب المادية المتاحة له ، وقد قال النبي ﷺ : ((**اللهم أني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والبخل والجبن وضلَع الدّين وغلبة الرجال**))[1].

وإني لأدعو اللّهَ حتى كأنَّما

أرى بجميلِ الظنّ ما اللَّهُ صانِعُ

والمتفائل يكثر من الدعاء ، حتى لو لم ير أثراً للإجابة ، ولا يستعجل النتائج فيعقوب عليه السلام بقي في البلاء مدة طويلة ورجاؤه لا يتغير ، فلما ضم إلى فقد يوسف فقد بنيامين لم يتغير أمله وقال : ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

روى ابن أبي الدنيا بإسناده عن أبي سعيد البقال قال : كنت محبوسا في ديماس[3] الحجاج، ومعنا إبراهيم التيمي، فبات في السجن فقلت: يا أبا أسماء، في أي شيء حبست؟ قال : جاء العريف فتبرأ مني وقال : إن هذا يكثر الصلاة والصوم ، فأخاف أن يكون يرى رأي الخوارج !!.

(١) أخرجه البخاري (٣/٢٢٤) .

(٢) سورة يوسف ، الآية (٨٣) .

(٣) هو السجن تحت الأرض.

قال: والله إنا لنتحدث عند مغيب الشمس ومعنا إبراهيم التيمي ، إذا نحن برجل قد دخل علينا السجن فقلنا: يا عبد الله ، ما قصتك؟ وما أمرك؟ قال : لا و الله ما أدري ، ولكني أظن أخذت في رأي الخوارج ، فو الله إنه لرأي ما رايته ولا هويته ، ولا حببت أهله ، يا هؤلاء، ادعوا إليّ بوضوء قال: فدعونا له بماء فتوضأ، ثم قام فصلى أربع ركعات فقال :

((اللهم إنك تعلم أني على إساءتي وظلمي وإسرافي ، لم أجعل لك ولدا ، ولا ندا ، ولا صاحبة ولا كفوا ، فإن تعذب فإني عبدك ، وأن تغفر فإنك أنت العزيز الحكيم ، اللهم إني أسألك يا من لا يغلطه المسائل ، ويا من لا يشغله سمع عن سمع ، ويا من لا يبرمه إلحاح الملحين ، أن تجعل لي في ساعتي هذه فرجا ومخرجا من حيث احتسب ومن حيث لا أحتسب ، ومن حيث أعلم ومن حيث لا أعلم ، ومن حيث أرجو ومن حيث لا أرجو ، وخذ لي بقلب عبدك الحجاج ، وسمعه وبصره ولسانه ويده ورجله حتى تخرجني في ساعتي هذه فإن قلبه وناصيته في يدك ، أي رب ! أي رب ! أي رب !))

قال: فأكثر ، فو الله الذي لا اله غيره ، ما قطع دعائه إذ ضرب باب السجن، أين فلان؟ فقام صاحبنا فقال: يا هؤلاء، إن يكن العافية فو الله لا ادع الدعاء (أي إذا اخلوا سبيله)،

وإن يكن الأخرى (أي إذا أعدموه) فجمع الله بيني وبينكم في رحمته ، فبلغنا من غد أنه خلي عنه[1] .



(1) الفرج بعد الشدة لابن أبي الدنيا ، ص (٤٢) .

♦ لا نجعل لليأس والإحباط طريقا إلى قلوبنا ..

فهو منهي عنه في الإسلام ، بأمر الله تعالى : ﴿ قَالُواْ بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾[1] ، (إن اليأس والإحباط وانسداد الآفاق يولد نوعاً من الشعور بكراهة المرء لنفسه وازدرائه لها، مما يجعله لا يقيم أي وزن لكل النصائح التي تُسدى إليه . وهذا الشعور مبالغ فيه دائماً ، إذ إنه مهما ساءت الأحوال ، وتضاءلت الإمكانات يظل هناك مجال لتخفيف الضرر وتحسين الوضع ؛ والله جل وعلا – جعل اليأس من سمات الكفار ؛ إذ قال :﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2])[3]فاليأس يغمض العيون .. فلا نرى الأبواب المفتوحة ولا الأيدي الممدودة . قال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[4] .

وفي كتاب "حسن الظن بالله" ذكر ابن أبي الدنيا رحمه الله تعالى ، مئة وواحداً وخمسين نصاً ، ما بين آية وحديث ، كلها تدعوك إلى التفاؤل ، وترك اليأس والقنوط، والمثابرة

---

(١) سورة الحجر ، الآية (٥٥).

(٢) سورة يوسف ، الآية (٨٧) .

(٣) مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية ، أ.د. عبد الكريم بكار ، ص ١٦٣.

(٤) سورة الزمر ، الآية (٥٣) .

على حسن الظن وحسن العمل ، حتى إنك لتجدُ نصوصَ الوعد أعظمَ من نصوص الوعيد ، وأدلة الرحمة أكثر من أدلة التهديد ، وقد جعل الله لكل شيء قدْراً.

ولأن اليأس إذا سيطر فإنه سيخرج أفراداً محبطين وغير عاملين ، ولا يمكن أن يصنعوا شيئاً ، والأنبياء — عليهم الصلاة والسلام — لم ييأسوا أبداً ، بل دعوا إلى الله تعالى بعزم وجد سنوات طويلة وبعضهم دعا قروناً كنوح عليه السلام بعد أن دعا ألف سنة تقريباً ولم ييأس خلالها كانت حصيلة الدعوة ﴿ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾[1] .

وقد أخبر النبي ﷺ : ((**يأتي النبي ومعه الرجل ، والنبي ومعه الرجلان ، والنبي وليس معه أحد**))[2].

وفي المقابل كم من نبي جاهد معه عدد كثير من أتباعه، وعلماء ربانيون من أنصاره ، فما أصابهم خور ولا ضعف ولا فشل ولا يأس قال تعالى : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسْتَكَانُواْۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾[3]يقوله تعالى مسليا للمؤمنين عما كان وقع في نفوسهم يوم أحد.

---

(١) سورة هود ، الآية (٤٠) .

(٢) أخرجه الإمام البخاري في صحيحه.

(٣) سورة آل عمران ، الآية (١٤٦) .

ولنتأمل النبي ﷺ وهو متفائل بدعوته لعمه في آخر لحظة من حياته ويقول له : ((**يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله**)) لم ييأس من إسلامه ، ولم يكن ذلك محصوراً على قرابته ونسبه بل كان له ﷺ جار يهودي، وعلم أن ولد جاره اليهودي قد احتضر، وأنه أوشك أن ينازع وأن تفارق روحه بدنه، فدخل عليه ﷺ زائراً داعياً، فقال لهذا الغلام اليهودي في آخر لحظة من لحظات عمره : ((**فقال له أسلم فنظر إلى أبيه وهو عند رأسه فقال له أبوه أطع أبا القاسم فأسلم فقام النبي ﷺ وهو يقول الحمد لله الذي أنقذه بي من النار**))[1] .

كما كان من مسلك هؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام أنهم لم يحرصوا على رؤية النتائج الإيجابية، ويهتمون بذلك كثيراً ويُعلقون على ذلك الآمال والآمال ، ولم يزد الضعف في نفوسهم شيئاً .

كما أنه ينبغي للداعية أن يجعل نصب عينيه تلك النصوص الدالة على تبليغ أنبياء الله عليهم السلام دعوة ربهم ، والحرص على ذلك ، ولو تأخر موسم الثمر ﴿ فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴾[2] .

---

(١) صحيح أبي داود ، الألباني ، (٣٠٩٥) .

(٢) سورة النحل ، من الآية (٣٥) .

ولم يقف الأمر عند هذا بل جاءت نصوص مؤكدةً على استمرار الداعي في دعوته ، حتى ولو أعرض المدعوون ، فوظيفة الداعية البلاغ ، وليس من وظيفته أن يرى ثمار دعوته .

عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : ((**عُرضت علي الأمم ، فرأيت النبي ومعه الرهيط ، والنبي ومعه الرجل والرجلان ، والنبي وليس معه أحد..**))[1].

(فهذا النبي الكريم الذي أُيد الوحي ، لم يستجب أحدٌ لدعوته ، ومع ذلك لم يفتر عزمُهُ ، بل استمر في تبليغ رسالة الله طاعة لربه ، وبراءة لذمته، ونُصحاً لأمته ، إذا كان كذلك ، فأين أولئك الذين يُخذلون أنفسهم ويُخذلون غيرَهم عند قلة المستجيبين)[2].

فأجمل ما في هندسة الحياة : **" أن تبني جسراً من التفاؤل على بحر من اليأس "** .

و (من المؤثرات النفسية التي يواجهها الدعاة ويستشعرون بها، ويجدون الكثير ممن يُحسبون على الإسلام يتشدقون بها ويرفعون لواءها المؤثر التيئيسي الانعزاليّ الذي يقعدهم عن مسؤولية الدعوة ، ويثبطهم عن فرضية

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥) ، مسلم (٥٢٦) .

(٢) الخطب المنبرية ، د. عبدالعزيز السدحان ، (١٧٠/٣).

الجهـاد ، ويـدفعهم إلى عزلـة المجتمـع والركـون إلى الاسـترخاء والانطوائيـة .. وهـذه الظـاهرة مـن التيئـيس والتثبيط إذا استفحلت في أمـة وترسـخت في نفسية الـدعاة فإنهـا- في الحقيقـة -هـي القاصـمة الـتي تقـصم مـسيرة العمـل الإسـلامي ، والحالقـة الـتي تحلـق التفـاؤل بالـنصر ، فلم يبق لإقامة العزة الإسلامية في النفوس رجاء ، ولم يعد لاستعادة الأمجاد التاريخية أمل)[1] .

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – : (كثير من النـاس يظـن أن أهـل الـدين الحـق في الـدنيا يكونـون أذلاء مقهـورين ، مغلـوبين دائمـاً ، بخـلاف مـن فـارقهم في سـبيل أخرى وطاعة أخرى ، فلا يثق بوعد الله بنصر دينه وعباده ، بل إما أن يجعل ذلك خاصاً بطائفة دون طائفة ، أو بزمان دون زمان ، أو يجعله معلقاً بالمشيئة – وإن لم يصرح بها – وهذا من عدم الوثوق بوعد الله تعالى ، ومن سوء الفهم في كتابه)[2] .

<u>ومما يتعلق باليأس اليأس في طلب العلم</u> ، الناس جميعاً ومنهم أنا وأنت وشيخ الإسلام والبخاري وغيرهم يشتركون

---

(١) عقبات في طريق الدعوة ، ص ٢٢٢.

(٢) إغاثة اللهفان (١٨٣/٢).



في قـــول الله تعـــــالى : ﴿ وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا ﴾[1].

(فليأس وعدم الثقة بالنفس سبب عظيم من أسباب عدم التحصيل والإنسان إذا رأى ما أنعم الله عليه من سلامة الجوارح ، ومن توفر الوسائل التي يحتاجها طالب العلم يجد أن حجة الله قائمة)[2].

لا تحقرن نفسك إن كنت ضعيفاً في الحفظ ضعيف في الفهم بطيء القراءة .. سريع النسيان كل هذه أدواء وأسقام تزول إذا صدقت النية وبذلت السبب وكنت متفائلاً بطلب العلم .

يقول الإمام العسكري[3] **عن نفسه : (كان الحفظ يتعذر عليّ حين ابتدأتُ أرومه**[4]**، ثم عودت نفسي إلى أن حفظت قصيدة رؤبة " وقاتم الأعماق خاوي المخترق " في ليلة وهي قريب من مائتي بيت).**

فبتوفيق الله وبذل السبب سنرى أننا حصلنا خيراً نندم كل الندم على ما ذهب من الأوقات ، ولنقرأ ما قاله أبو هلال العسكري : (حكى لي بعض المشايخ أنه قال رأيت في

---

(١) سورة النحل ، من الآية (٧٨).

(٢) معالم في طريق الطلب ، د. عبدالعزيز السدحان ، ص (٢٦).

(٣) الحث على طلب العلم والاجتهاد في تحصيله ، لأبي هلال العسكري ، ص(٧١).

(٤) رام الشيء إذا طلبه.

بعض قرى النبط فتى فصيح اللهجة حسن البيان فسألته عن سبب فصاحته مع لُكنَةِ أهل جلدته ، فقال : كنت أعمد في كل يوم إلى خمسين ورقة من كتب الجاحظ فارفع بها صوتي في قراءتها فما مرَّ بي إلا زمان قصير حتى صرت إلى ما ترى)[1] .

(وهذا الإمام الفحل أبو بكر البيهقي الذي ألّف أكبر كتاب في الأحكام بالأسانيد " السنن الكبرى " كان يعوزه بعض المراجع التي تتوفر عند أصغر طالب عندنا فسنن ابن ماجه والنسائي وجامع الترمذي لم تكن متوفرة لدية ولم يكن ذلك مما يعوقه عن الطلب والتحصيل)[2] .

ومما يتعلق باليأس في طلب العلم أنه (ربما يحضر بعضنا عند شيخ مدة طويلة فيقول شرح الشيخ كتاب الربا وشرح كتاب الحدود وشرح كتاب النكاح والطلاق ولم أفهم إلا اليسير ، صحيح هذا يشترك فيه جمعٌ منا كثير ولكن مع هذا كله العلم كلما كرره الإنسان وكلما استرجع قراءته ومذاكرته كلما زال الإشكال عنه فالإمام أحمد رحمه الله وهو على جلالة قدره وفضله يقول عن نفسه : كنت في كتاب الحيض تسع سنين حتى فهمته.

---

(١) الحث على طلب العلم والاجتهاد في تحصيله ، لأبي هلال العسكري ، ص (٧٢).

(٢) معالم في طريق الطلب ، د. عبد العزيز السدحان ، ص (٤٤).

فلا نضجر ولا نيأس فقد أعطى الله الإنسان عقلاً وذكاءً وهذا الذكاء ينمو ويزيد بالتعويد فكلما عوّد الإنسان نفسه طبعاً اعتادت النفس عليه ، ومن العجائب في عدم الضجر وعدم اليأس ما ذكر الشيخ الشنقيطي رحمه الله عن نفسه فقد ذكر في مقدمة تفسيره أن شيخه شرح مسألة من المسائل ولم تتضح له، قال : فلم تتضح لي المسألة ، فرجعت إلى منزلي وبحثت وما زلت أبحث والخادم قائم على رأسي بالمصباح أو بالشمعة ولا أزال أبحث وأشرب الشاهي الأخضر حتى مر ثلاثة أرباع اليوم إلى أن طلع فجر ذلك اليوم قال فزال عني الإشكال)[1].

وينبغي لنا أن لا نيأس من الطلب وأن لا نقول : ذهبنا إلى دروس كثيرة ولم نستفد إلا القليل ؟ (لا تيأسن وأعلم أن هناك من الناس من لو أخبرتك بشأنهم لتعجبت كثيراً : فصاحب ذيل طبقات الحنابلة ذكر في أثناء تراجمه أموراً عجيبة لبعض الناس في طلبهم للعلم ، فعبد الرحمن بن النفيس أحد الحنابلة كان في أول أمره مغَنّياً يُغني وكان ذا صوت حسن ثم تاب من هذا المنكر وطلب العلم وحفظ كتاب الخِرقي وهو من كتب الحنابلة المشهورة ، وكذلك عبد الله بن أبي الحسن الجبّائي كان

(١) المرجع السابق ، ص (٦٠).

نصرانياً وكان أهله نصارى بل كان أبوه من علماء النصارى وكانت النصارى تغلو فيه لكنه أسلم وحفظ القرآن وطلب العلم ، يقول بعض من رآه : وكانت له مهابة وجلاله في بغداد ، وكذلك نصير الدين أحمد بن عبد السلام كان قاطع طريق وذكروا في سبب توبته شيئاً عجيباً طريفاً ، قال عن نفسه : أنّه كان ذات يوم في أثناء قطعه للطريق مضطجعاً تحت نخلة أو في حائط نخل فرأى عصفوراً يتنقل بين نخلتين بانتظام فعجب وصعد إلى إحدى النخلتين فرأى حية عمياء والعصفور يلقي لها الطعام فتعجب من ذلك وتاب من ذنبه وطلب العلم وسمع الكثير وسمع منه الكثير .

فهذا قاطع طريق والذي قبله من الديانة النصرانية والذي قبله كان مغنياً ومع هذا أصبحوا أعلام هدى يشار إليهم بالبنان في وقتهم ، ويذكر علمهم بعد موتهم ، فلا تيأس ولا تقنط)[1] .

ومن أكثر المشاعر النفسية التي ابتلي بها كثيرٌ من المسلمين ما يتعلق بالهم والغم ، تلك الأحاسيس التي إذا أصابت بعض الناس رأيته كئيباً كسيراً تتنكرُ له نفسه ويتغير مزاجه وطبعه ، وبعض أولئك يوغل في الانقياد

(١) المرجع السابق ، ص (٢٣٦) .

لتلبيس الشيطان حتى يكاد أن يعترض على قضاء الله وقدره أو يتسخط منه .

لما كان الأمر كذلك عُني الشارع الحكيم بشعور الهم وبين أن الهموم أنواع وأنها تتفاوت بحسب الباعث لها والمؤثر فيها ، إلا أن الشارع حث العباد أن يكون همهم الأكبر واهتمامهم الأعظم بأمر الآخرة وما أعد العباد لها في الدنيا ، وإن استشعار الهم بأمر الآخرة ينفي عن النفس وما علق بها وقيدها من الهموم الأخرى ، بل إن الاهتمام بالآخرة سبب في تفريج ما أهمه من أمر بدنه ورزقه ومعاشه ، يؤكد ذلك قوله ﷺ : ((**من جعل الهموم هماً واحداً ، هم المعاد ، كفاه الله سائر همومه**)) وقال النبي ﷺ في بقية الحديث لمن غلب هموم الدنيا وزينتها : ((**ومن تشبعت به الهموم في أحوال الدنيا لم يبال الله في أي أوديتها هلك**))[1] .

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – : (**فمحبة الله تعالى ومعرفته ودوام ذكره والسكون إليه والطمأنينة إليه وإفراده بالحب والخوف والرجاء والتوكل والمعاملة بحيث يكون هو وحده المستولي على هموم العبد وعزماته وإرادته ؛ هو جنة الدنيا والنعيم الذي لا يشبهه نعيم وهو قرةُ عين المحبين وحياة العارفين**)[2] .

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٠٦) .

(٢) الوابل الصيب ، ص (١٠٦).

وقال الإمام ابن الجوزي – رحمه الله تعالى – : (**ضاقَ بي أمرٌ أوجب غَمَّاً لازماً وأخذتُ أبالغُ في الفكرة في الخلاص من هذه الهموم بكلِّ حيلةٍ وبكل وجهٍ فما رأيت طريقاً للخلاص – ثُمَّ قال رحمه الله تعالى – فعُرضت لي هذه الآية** ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴾[1] **فعلمتُ أن التقوى سببٌ للمخرج من كل غمٍّ فما كان إلا أن هممتُ بتحقيق التقوى فوجدتُ المخرج**)[2].

وقال الإمام الماوردي – رحمه الله تعالى – : (**اعلم أنه قل من صبر على حادثةٍ وتماسك في نكبةٍ إلا كان انكشافها وشيكاً ، وكان الفرج منه قريباً**)[3].

ومما يتعلق بتلك الهموم الهم بطلب الرزق وعدم اليأس فيه ، لما الهم والرزّاق هو الله ﴿ وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴾[4] ويقول النبي ﷺ : ((**اتقوا الله وأجملوا في الطلب فإن نفساً لن تموت حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عنها فاتقوا الله وأجملوا في الطلب ، خذوا ما حل ودعوا ما حرم**))[5].

---

(١) سورة الطلاق ، من الآية (٢).

(٢) صيد الخاطر ، ص (١٥٣).

(٣) أدب الدنيا والدين ، ص (٢٨٨) .

(٤) سورة الحجر ، الآية (٢١).

(٥) ابن ماجه (٢١٤٤) ، المستدرك على الصحيحين (٤/٢) ، فيض القدير (٤٠١/٦) .

قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – : (**إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا الله وحده؛ تحمل الله سبحانه حوائجهُ كلَّها وحملَ عنه كُلَّ ما أهمه وفرَّغَ قلبه لمحبته ولسانه لذكره ، وجوارحه لطاعته ، وإن أصبح وأمسى والدنيا همه ، حمله الله همومها وغمومها وأنكادها ووكَّلَهُ إلى نفسه فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق ولسانه عن ذكره بذكرهم وجوارحَه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم فهو يكدحُ كدْحَ الوحش في خدمة غيره كالكير ينفخُ بطنه ويعصرُ أضلاعه في نفع غيره ، فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بُلي بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته**)[1].

يجد الجادون في هذه الحياة ، ويسعون للكسب ، تجارة وزراعة ووظيفة وصناعة ، فيكسبون ويربحون ويخسرون، فكم سمعنا عن أناس كانوا لا يملكون شيئاً ثم أصبحوا من كبار الأغنياء ، من غير تعب ولا نصب .

---

(١) الفوائد ، ص (٨٣) .

ونرى بعض الناس : يكدح ليله ونهاره ، وينضح عرقه صباح مساء ، فلا يحصل إلا ما يسد به رمقه ويدفع به جوعته[1] .

يقول الشيخ علي الطنطاوي – رحمه الله تعالى – : **(وفلسفة الرزق أدقّ من أن تُدرك وأبعد من أن تنال . وانظر إلى الناس ترَ منهم الغوّاصين الذين جعل الله خبزهم وخبز عيالهم في قرارات البحار فلا يصلون إليه حتى ينزلوا إلى أعماق الماء ، والطيارين الذين وضع خبزهم فوق السحاب فلا يبلغونه حتى يصعدوا إلى أعالي الفضاء ، ومَن كان خبزه مخبوءاً في الصخر الأصمّ فلا يناله إلاّ بتكسير الصخر ، ومَن رزقه في مجاري المياه والوسخة أو المناجم العميقة التي لا ترى وجه الشمس ولا بياض النهار ، ومَن يأخذه بيده أو برجله أو بلسانه أو بعقله ، ومَن لا يصل على الخبز إلاّ ببذل روحه وتعريض مهجته للهلاك ، كلاعب (السِرك) الذي يترصده الموت في كل مكان ، فإن لم يدركه**

---

(١) يستغرب هنا ملحد فيقول :

كم عالمٍ أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزقا

هذا الذي ترك الأفهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا

فرد عليه مؤمن :

كم عالم يسكن بيتا بالكِرى ... وجاهلٍ يقني قصوراً وقرى

لما قرأنا قوله سبحانه ... نحن قسمنا بينهم زال المرا

يشير إلى الآية الكريمة ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ﴾ (سورة الزخرف ، آية (٣٢)) .

ساقطاً عل ى رأسه أدركه وهو بين أنياب الأسد أو تحت أرجل الفيل)[1] ، والله تعالى يقول : ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾[2] .

إن الملك بيد الله يهبه من يشاء بغير حساب ، والمال لله يعطيه من يشاء بحكمته وعدله سبحانه ، قال تعالى : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَـٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾[3] .

يذكر لنا التاريخ أن محمد المهلبي كان فقيراً مُعدماً لا يملك قوتَ يومه حتى أنه سافر ذات مرة فأخذ يتمنى الموت من شدة فقره ويقول :

ألا مــوت يبـــاع فأشتريـــه

فهذا العيش مما لا خير فيه

ألا مــوت لذيذ الطعم يأتـــي

يخلصني من العيش الكريه

إذا أبصـرت قبــراً من بعيـــد

وددت أننـــي ممــا يليـــه

---

(١) مع الناس ، علي الطنطاوي ، ص (٧٩) .

(٢) سورة الزخرف ، من الآية (٣٢) .

(٣) سورة آل عمران ، آية (٢٦) .

ألا رحم المهيمـــن نفس حـــر

تصدّق بالوفاة على أخيـه

فقـام صـاحب لـه ورثـى لحالـه وأعطـاه درهمـاً . ثـم تمـر الأيـام ويعـتني المهـلبي بنفـسه ويجتهـد ويترقـى في المناصـب حتـى أصبـح وزيـراً ، وضـاق الحـال بـصاحبه – الـذي أعطـاه درهماً – فأرسل رقعة إلى محمد المهلبي كتب فيها:

ألا قل للوزيـر فدتـــه نفســي

مقالاً مذكراً ما قد نسيه

أتذكر إذ تقول لضنك عيش

ألا مـوت يبـــاع فأشتريــه؟

فلما قرأ محمد المهلبي الرقعة أمر له بسبعمائة درهم، ثم كتب أسفل الرقعة قوله تعالى :﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾[1]، ثم قلده عملاً يسترزق منه.

(ولقـد تعجبـت مـن حـال سـجين فقـير يُـدعى "مـا يكـل ماثي " تحول خلال سنوات إلى خبير مالي ومليونير ، حيث قـرر هـذا الرجـل أن لا يسـتـسلم لفقـره وسـجنه ، لـذا قـام بمتابعة أخبار سوق الأسهم عن طريق تلفازه داخل السجن ،

---

(١) سورة البقرة ، الآية (٢٦١) .

ولم يكتف بذلك بل كان يقرأ يومياً أكثر من عشر مطبوعات ماليه بما فيها "وول ستريت" .

ورغم أنه لا يُسمح للسجناء بممارسة أي عمل تجاري داخل السجن ، ورغم أن " ماثي " لا يملك هاتفاً داخل زنزانته ولا يمكنه الاتصال عبر الإنترنت ، إلا أنه استطاع تجاوز هذه العقبات وذلك بالاتصال بوالده كل يوم عشر مرات ليوجهه في البيع والشراء ، وبما أن والد "ماثي " هو الذي يقوم بالصفقات فإن تصرّفه هذا لا يُشكل خرقاً للقانون ، وهكذا تحول هذا الرجل إلى مليونير داخل سجنه ومن خلال زنزانته) [١].

ويقول الشيخ علي الطنطاوي – رحمه الله تعالى – : (قرأت في كتاب [ديل كارنيجي] "دع القلق وابدأ الحياة " قصة فلاح من فلوريدا اشترى أرضاً ، وضع فيها ماله كله . فلما صارت له وذهب ليراها ، أصابته أشد ضربة من ضربات الدهر ، فتركته مضعضعاً مشرفاً على الانهيار : رآها قفرة مهجورة ، لا تصلح للزراعة ، ولا تنفع للرعي ، وليس فيها إلاّ أعشاب تعيش عليها مئات من الحيات والثعابين ، لا سبيل إلى مكافحتها واستئصالها ، وكاد يصاب بالجنون ، لولا أن خطرت له فكرة عجيبة : هي أن يربي هذه الحيات ،

(١) مهندسو الحياة وصُنّاع التأثير ... من هم ؟ ، د. علي الحمادي ، ص (٤٢) .

ويستفيد منها ، وفعل ذلك ، فنجح نجاحاً منقطع النظير، كان يخرج سموم هذه الحيات ، فيبعث بها إلى معامل الأدوية ، فتستخلص منها الترياق الذي يشفي من هذه السموم ، ويبيع جلودها لتجار الأحذية بأغلى الأثمان .. وكان يقصده السياح من كل مكان ، ينظرون إلى أول مزرعة في الدنيا ، أنشئت لتربية الحيات والثعابين .

قرأت هذه القصة الواقعة ، فأحسست كأني كنت أسير في طريق مظلم ، لا أعرف موطئ قدمي فيه .. لقد علمتني هذه القصة ألا أفزع بعد اليوم من فشل ، أو أجزع من خيبة ، بل أحاول استثمار الفشل ، والاستفادة من الخيبة .. هذا هو الدرس الذي تعلمته من قصة " فلاح فلوريدا ")[1].

ولندرك أن اليأس وعدم التفاؤل لا يمكن أن يدفع إلى الأمام، ولقد جاء الإسلام ناهياً عن اليأس فقد قال الله تعالى على لسان يعقوب – عليه السلام – مخاطباً أبناءه : ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[2]، وقال سبحانه على لسان خليله إبراهيم – عليه السلام – : ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾[3]، وعن ابن عباس – رضي الله عنهما – قال : ((إن رجلاً قال : يا رسول

(١) مقالات في كلمات ، المجموعة الأولى ، ص ٢٣١.

(٢) سورة يوسف ، الآية (٨٧) .

(٣) سورة الحجر ، الآية (٥٦) .

الله ! ما الكبائر ؟ قال : الشرك بالله ، والإياس من رَوْح الله ، والقنوط من رحمة الله)[1] .

لو أرخينا أسماعنا بانتباه إلى ما يجول في مجالسنا من أحاديث هذه الأيام لرأينا إحدى أكثر صور اليأس وضوحاً ، لقد امتلأت عقولنا وألسنتنا بالقصص المبكية على ما وصلت إليه أحوالنا خاصة وأحوال المسلمين عامة ، ففي كل أرض أرملة وقتيل ومعوق وأسير ولن تجد من الدماء سوى دمائنا ولن ترى من الجراح سوى جراحنا ودمائنا غدت أنهاراً بل:

أنى اتجهت إلى الإسلام في بلدٍ
تجده كالطير مقصوصاً جناحاه
كم صرَّفتنا يد كنا نصرفها
وبات يحكمنا شعب ملكناه

وأنه ما من مخرج إلا بمعجزة إلهية خارقة أو فاتح عظيم كعمر أو صلاح الدين . وهذا شأن اليائسين في كل زمان ومكان .

---

(١) مصنف عبد الرزاق (١٩٧٠١) ، وقال ابن كثير في تفسيره : (٢/٢٧٩) : (وهو صحيح بلا شك فيه) .

ومن أحاديث المحبطين في مجالسنا من يذكر المثالب في مجتمعه ، ويغرق في غالب مجالسه وأحاديثه ، ولو أنه ذكر ذلك من باب إيجاد طرق العلاج لكان ذلك محمدةً في حقه ، لكن المصيبة أنه يذكر ذلك من باب صعوبة في سلوك طريق الإصلاح ، فيترتب من جرّاء ذلك تقاعُسُه عن العمل ، بل وإدخالُ اليأسِ إلى جلسائه.

ومنهم من لازم تشاؤُمه وذمَّه للمجتمع وأهله عموماً و جعل نفسَهُ بمعزلٍ عن ما وقع فيه الناس وقد وصف الرسول ﷺ هذه النفسيات وصفاً دقيقاً ؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((**إذا قال الرجلُ هلكَ النَّاسُ فهوَ أهلَكُهُمْ**))[1] .

أما المتفائلون الذين قدموا للعالم خدماتهم الجليلة فيسلكون مسلكاً مختلفاً فهم متفائلون بأن بعد الحزن فرحاً و بعد الألم أملاً و في طيات المحن منح و أن الليل إذا اشتدت ظلمته فإن الفجر لاح، و إن الرؤية للتفاؤل ليست فقط للحاضر بل هي للمستقبل مع اعترافنا بالجراحات وغيرها، إننا نقول: جراحات الحاضر لا تعمينا عن المستقبل

(١) أخرجه مسلم ، برقم (٢٦٢٣) .

هذا المظهر يظهر في كثير من الناس الذين يتخاذلون ويبتعدون عن إنكار المنكرات ، أو عن الدعوة إلى الله بحج واهية .



بإذن الله والتفاؤل لا يكون إلا في الأزمات — في وقت الرخاء لا حاجة إلى التفاؤل — .

بل "يقول بعض مؤلفي عصرنا : إن الشدائد — مهما تعاظمت وامتدَّت — لا تدوم على أصحابها ، ولا تخلد على مصابها ، بل إنها أقوى ما تكون اشتداداً وامتداداً واسوداداً ، أقرب ما تكون انقشاعاً وانفراجاً وانبلاجاً "[1].

ومن سديد القول في هذا المقام كلام للشيخ ابن سعدي رحمه الله تعالى أجاد فيه وأفاد، حيث قال :(واليوم وإن كان المسلمون مصابين بضعف شديد، والأعداء يتربصون بهم الدوائر، هذه الحالة أوجدت من بينهم أناسا ضعيفي الإيمان، ضعيفي الإرادة الرأي والقوة ، يتشاءمون أن الأمل في رفعة الإسلام قد ضاع، وأن المسلمين إلى ذهاب واضمحلال ، ولقد غلطوا في هذا أعظم غلط ، فإن هذا الضعف عارض له أسباب ، وبالسعي في زوال أسبابه تعود صحة الإسلام كما كانت، كما تعود إليه قوته التي فقدها منذ أجيال. ما ضعف المسلمون إلا لأنهم خالفوا كتاب ربهم وسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم، وتنكبوا السنن الكونية التي جعلها الله مادة حياة الأمم ورقيها، فإذا رجعوا إلى ما مهده لهم دينهم، فإنهم لابد أن يصلوا إلى الغاية كلها أو بعضها.

---

(١) لا تحزن ، د. عائض القرني ، ص ٣٨٢.

وهذا المذهب المهين، وهو التشاؤم والكسل لا يعرفه الإسلام ولا يرتضيه، بل يحذر عنه أشد تحذير، ويبين للناس أن النجاح مأمول، وأن مع العسر يسرا، وأنه ﴿ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾[1] ، ويبين أنه لا أضر عليهم من اليأس والقنوط. فليتق الله هؤلاء المتشائمون، وليعلموا أن المسلمين أقرب الأمم إلى النجاح الحقيقي. ويقابل هؤلاء طائفة يؤملون آمالا عظيمة، ويقولون ولا يفعلون، فتراهم يتحدثون بمجد الإسلام ورفعته، وأن له العاقبة الحميدة، وأن الرجوع إلى تعاليمه وهدايته هو السبب الوحيد لعلو أهله ورفعتهم، ولكن لا يقدمون لدينهم أدنى منفعة بدنية ولا مالية، ولا يقدمون مساعدة جدية لتحقيق ما يقولون، فإن الأقوال لا تقوم إلا إذا قارنتها الأفعال. ويا طوبى لطائفة هم غرة المسلمين، وهم رجال الدنيا والدين، قرنوا الأقوال والأفعال، وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم وبأقوالهم، وبإنهاض إخوانهم، وتبرؤوا من مذهب المتشائمين ومن أهل الأقوال دون الأفعال، فهؤلاء هم الذين يناط بهم الأمل، وتدرك المطالب العالية بمساعيهم المشكورة وأعمالهم المبرورة)[2] انتهى كلامه – رحمه الله تعالى – .

---

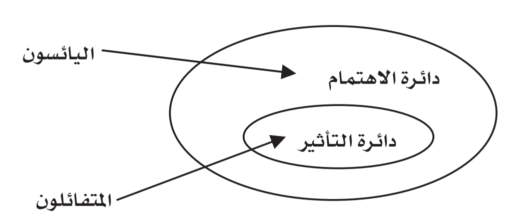
(١) سورة الطلاق ، الآية (٧).

(٢) واجب المسلمين اليوم ، ص (٢٣ – ٢٤).

ويوضح ذلك الكاتب ستيفن كوفي حيث يفرق بين كلا الفريقين بما يصرفون وقتهم وجهدهم بالتفكير والاهتمام به .

فاليائسون يملؤون عقولهم وأوقاتهم بالتفكير في قضايا تقع في دائرة اهتمامهم ، ولكنها بعيدة عن دائرة تأثيرهم ، فهي مهمة ولكن لا يمكن عمل شيء تجاهها.

أما المتفائلون فيصرفون أوقاتهم وأعمارهم فيما هو مهم وأساسي ويمكنهم أن يقوموا بشيء تجاهه ، لأنه يقع تحت تأثيرهم ، وفي حدود إمكانياتهم[1] .



إن (**دائرة الاهتمام**) و(**دائرة التأثير**) اصطلاحان موفقان لتقسيم ما يواجهه الإنسان من: أعمال، وآمال، واهتمامات.. وما إليها من مناشط الحياة ومكارهها.

فهناك أمور خارج نطاق اهتمام المرء، وأمور داخل نطاق اهتمامه، والأمور الواقعة في نطاق اهتمامه نوعان: أولهما لا

(١) بتصرف من كتاب : القرار في يديك ، د. ياسر عبد الكريم بكار ، ص (١٧٢) .

سيطرة له عليه، والآخر له عليه نوع من السيطرة والتأثير. ولتوضيح ذلك نأخذ (زيدًا) مثالاً:

زيد رجل في الثلاثين، لا يهتم أبدًا بكرة القدم، ولا يبالي بأي فريق خسر في المباريات العالمية وأي فريق حاز البطولة، ولا يبالي – أيضًا – بأمور السياسة والاقتصاد، فسواء عنده: ارتفع الين أم انخفض، وسواء نجح في الانتخابات الرئاسية مرشح هذا الحزب أم ذاك الحزب!! فهذه كلها خارجة عن نطاق اهتمامه.

لكن زيدًا يهتم بأمور كثيرة، منها ما لا يملك التأثير فيه ولا يقع في نطاق سيطرته، ومنها ما يستطيع أن يؤثر فيه تأثيرًا كليًا أو جزئيًا.

فمن الأمور التي تهمه، مثلاً: حرارة الطقس في المنطقة التي نقل إلى العمل فيها، وأخلاق سائقي السيارات وتهورهم في أثناء القيادة، وضيق شوارع المدينة، والديون التي ترزح تحت وطأتها بلاده، ومشكلة الفقر في العالم التي يذهب ضحيتها ملايين الأطفال في كل عام، وما شابه ذلك.

وواضح أن زيدًا لا يستطيع أن يصنع شيئًا حيال هذه الأمور، وأن غضبه عليها، وتذمره منها لن يغيرا الواقع بل الغالب أن هذه الأمور تزيد من حنق زيد وإحباطه ، ويؤثرا سلبًا على صحته الجسمية والنفسية.

وهناك نوع آخر من الأمور التي تهم زيدًا مثل: تحسين وضعه المادي، وحصوله على درجة وظيفية أعلى، ورفع مستواه في اللغة الأجنبية التي يعرف مبادئها، وإنقاص وزنه الزائد، وممارسة الرياضة البدنية، وقضاء وقت أكبر مع زوجته وأولاده.. هذه الأمور كلها داخلة في **(دائرة التأثير)** بنسب متفاوتة، ويستطيع زيد أن يقوم بشيء ما حيالها.

فإذا كان زيد رجلاً ناجحًا، فعالاً، حكيمًا، مبادرًا فهو يوظف جهده وطاقته، ووقته، وماله في الأمور الواقعة في **(دائرة تأثيره)**، ويكف عن الشكوى مما هو في **(دائرة اهتمامه)** ولا سلطان له عليه. أما إذا كان غير ذلك، فهو لن يكف عن اختلاق الأعذار تسويفًا لتقاعسه، وسيظل يشكو ويتوجع من الظروف الصعبة، والحظ الذي لا يواتيه، وقد يحمّل (الأقدار) مسؤولية ما جناه على نفسه، وصدق من قال: " المخفقون ماهرون في اختراع الأعذار".

إن الأسى على أخطاء الماضي ومآسيه، وإضاعة الوقت في الرثاء لها يشبه — كما يقول ستيفن كوفي — رجلاً لدغه ثعبان، فبدلاً من أن يبادر بأخذ الترياق الذي يبطل مفعول السم، بدأ يجري خلف الثعبان لينتقم منه، وبذلك عجل المسكين في سريان السم في جسمه! فماذا كانت النتيجة؟ لم يقتل الثعبان، لكنه قتل نفسه!!

ولنعلم أن اليأس والعجز ليسا صفتين يولد الشخص بهما ، وإنما يكتسبهما (كما أن الأشخاص الذين يمتلكهم اليأس بسرعة يؤمنون بأن السبب وراء حدوث أي مكروه لهم سيكون دائم الحدوث ، أما بالنسبة للأشخاص الذين يتأتى لهم مقاومة اليأس فيؤمنون بأن الأحداث العصيبة ما هي إلا أمر وقتي وزائل)[1] .

ومما يساعدنا على إيجاد الحلول والمخارج لما نواجه تقوى الله عز وجل ، فالله تعالى يقول : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾[2] . ويقول تعالى أيضا : ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا ﴾[3]، وسنة الله تعالى : أنه حين تشتد الأزمات وتتفاقم : يأتي اليسر والفرج ، وقد رأينا كيف فرج الله للأمة بعد الهجرة وقد عاشت قبلها أحلك الظروف وأصعبها حين كان النبي ﷺ وصحبه يلحقهم الأذى في مكة وبين شعابها ؟.

ولننظر إلى الأمور بعين التفاؤل وإن بدت في ظاهرها على عكس ذلك .



(١) تعلم التفاؤل ، د. مارتين سليجمان ، ص (٧٦).

(٢) سورة الطلاق ، من الآيات (٢ – ٣).

(٣) سورة الطلاق ، من الآية (٤).



♦ الابتعاد عن الخوف الزائد ..

وهو داء قتّال إن أصيب به من يريد التفاؤل ضعف ضعفاً عظيماً ، وخارت قواه ، والخائف لا يسمى متفائلاً ، لأنه ليس متوكلاً ؛ إذ هو يخاف من مجهول المستقبل على نفسه .

إن الناظر إلى المتفائلين قديماً وحديثاً ممن نصبوا أنفسهم للإصلاح والتغيير لا يكاد يجد فيهم خائفاً خوفاً مؤدياً به إلى الانقطاع والعجز ، إنما قد يعتري أحدَهم وساوس ينفيها بقوة توكله وعظيم إيمانه ، وكان الله – تعالى – معه : ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾[1].



(١) سورة طه ، الآية (٦٨) .

♦ **قد يكون حدثا لا يرى منه إلا الوجه السيء فيكون خيرا ونحن لا نعلم ..**

تأمل معي الحوداث التالية وكيف لو أننا تعاملنا معها بإحباط واستسلام :

- تبدأ الأحداث من عند الفاجعة العظمى التي ابتليت بها أمة الإسلام عندما اجتاح التتر المتوحشون بلاد الإسلام وأسقطوا حاضرة الخلافة العباسية بغداد وقتل الخليفة وأولاده ومعهم قرابة مليوني مسلم وذلك سنة ٦٥٦هـ، لقد أحجم في البداية العلماء المعاصرون عن الكتابة عن محنة التتار لهول الفاجعة، فبقي (ابن الأثير) عدة سنين معرضا عن ذكرها استعظاما لها، وهو القائل: **(فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل حدوثها وكنت نسيا منسيا)**[1].

ويقول أيضا: **(فلو قال قائل إن العالم منذ خلق الله – سبحانه وتعالى – آدم وإلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقا، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها)**[2].

وهي عنده أعظم من فتنة الدجال[3].

(١) الكامل ، ابن الأثير (١٢/٣٥٨).

(٢) الكامل ، ابن الأثير (١٢/٣٥٨) .

(٣) الكامل ، ابن الأثير (١٢/٣٥٩) .

بل لقد أقسم أن من سيجيءُ بعدها سينكرها وحق له ذلك، يقول رحمه الله : (**وتالله لا شك أن من يجيء بعدنا إذا بعُد العهد، ويرى هذه الحادثة مسطرة ينكرها ويستبعدها، والحق بيده، ولم ينل المسلمين أذى وشدة منذ جاء النبي ﷺ إلى هذا الوقت مثل ما دفعوا إليه الآن**)[1].

هذا الوصف كله من ابن الأثير، وهو لم يشهد فاجعتهم الكبرى بسقوط بغداد سنة (٦٥٦هـ) ، ويمكن القول إنها فتن يرقق بعضها بعضًا وسيتضح حين الحديث عن حجم مآسيها وضخامة أحداثها.

كما أن ابن الأثير لم يشهد كذلك أحداث التتر في نهاية القرن السابع الهجري (٦٩٩هـ)، حين عبروا الفرات إلى بلاد الشام وما حولها، وما حصل للمسلمين في هذه الفترة من البلاء والمحن، حتى أذن الله بزوال هذه المحنة، وكشف الله عن المسلمين هذه الغمة، وهي فتنة بليت فيها السرائر، وانقسم الناس فيها فِرَقا شتى، وقد أجاد شيخ الإسلام ابن تيمية وهو شاهد عيان في وصف الحدث وهوله، وموقف الناس بإزائه فقال: (**فينبغي للعقلاء أن يعتبروا بسنة الله وأيامه في عباده، ودأب الأمم وعاداتهم، لا سيما في مثل هذه الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرها، واستطار في**

(١) الكامل، ابن الأثير (١٢/٣٧٥- ٣٧٦) .

جميع ديار الإسلام شررها، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه، وكشر فيها الكفر عن أنيابه وأضراسه، وكاد فيها عمود الكتاب أن يُجتث ويخترم ، وحبل الإيمان أن ينقطع ويصطلم، وعقر دار المؤمنين أن يحل بها البوار، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار، وظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض أنما وعدهم الله ورسوله إلا غرورا، وأن لن ينقلب حزب الله ورسوله إلى أهليهم أبدا، وزين ذلك في قلوبهم، وظنوا ظن السوء وكانوا قوما بورا، ونزلت فتنة تركت الحليم فيها حيران، وأنزلت الرجل الصاحي منزلة السكران، وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوسواس ليس بالنائم ولا اليقظان، وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان، حتى بقي للرجل بنفسه شغل عن أن يُغيث اللهفان، وميّز الله فيها أهل البصائر والإيقان من الذين في قلوبهم مرضٌ أو نفاقٌ وضعفُ إيمان، ورفع بها أقواما إلى الدرجات العالية، كما خفض بها أقواما إلى المنازل الهاوية، وكفَّر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة، وحدث من أنواع البلوى ما جعلها قيامة مختصرة من القيامة الكبرى.

وكان من الناس من أقصى همتِه النجاةُ بنفسه؛ لا يلوى على ماله ولا ولده ولا عرضه، كما أن منهم من فيه قوة على تخليص الأهل والمال، وآخر فيه زيادة معونة لمن هو منه ببال، وآخر منزلته منزلة الشفيع المطاع، وهم درجات

عند الله في المنفعة والدفاع، ولم تنفع المنفعة الخالصة من الشكوى إلا الإيمان والعمل الصالح، والبر والتقوى، وبليت فيها السرائر، وظهرت الخبايا التي كانت تكنها الضمائر، وتبين أن الهرج من الأقوال والأعمال بخون صاحبه أحوج ما كان إليه من المآل، وذم سادته وكبرائه من أطاعهم فأضلوه السبيلا.

كما حمد ربه من صدق ما جاءت به الآثار النبوية من الأخبار بما يكون، ووطأتها قلوب الذين هم في هذه الأمة محدثون، كما تواطأت عليه المبشرات التي رآها المؤمنون، وتبين فيها الطائفة المنصورة الظاهرة على الدين، الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة؛ حيث تحزبت الناس ثلاثة أحزاب: حزب مجتهد في نصر الدين، وآخر خاذل له، وآخر خارج عن شريعة الإسلام.

وانقسم الناس ما بين مأجور ومعذور، وآخر قد غره بالله الغرور، وكان هذا الامتحان تمييزا من الله وتقسيما؛ ﴿ لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾[(١)])[(٢)].

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية(٢٤).

(٢) الفتاوى (٣٢٧/٢٨- ٣٢٨).

كما كان دقيقا في وصف أحوال المسلمين ومواقفهم حين غزى التتر بلاد الشام، فقال: (**وهكذا هذا العام[1] جاء العدو من ناحيتي علو الشام، وهو شمال الفرات، وهو قبلي الفرات، فزاغت الأبصار زيغاً عظيما، وبلغت القلوب الحناجر، لعظم البلاء ، لا سيما لما استفاض الخبر بانصراف العسكر إلى مصر، وتقرب العدو وتوجه إلى دمشق، وظن الناس بالله الظنونا، هذا يظن أنه لا يقف أمامهم أحد من جند الشام حتى يصطلموا أهل الشام، وهذا يظن أنهم لو وقفوا لكسروهم كسرة وأحاطوا بهم إحاطة الهالة بالقمر، وهذا يظن أن أرض الشام ما بقيت تسكن، ولا بقيت تكون تحت مملكة الإسلام، وهذا يظن أنهم يأخذونها، ثم يذهبون إلى مصر فيستولون عليها، فلا يقف أمامهم أحد، فيحدث نفسه بالفرار إلى اليمن، ونحوها. وهذا إذا أحسن ظنه قال: إنهم يملكونها العام، كما ملكوها عام هولاكو سنة سبع وخمسين، ثم قد يخرج العسكر من مصر فيستنقذها منهم، كما خرج ذلك العام؛ وهذا ظنُّ خيارِهم، وهذا يظن أن من أخبره به أهل الآثار النبوية، وأهل التحديث والبشارات أماني كاذبة، وخرافات لاغية، وهذا قد استولى عليه الرعب والفزع، حتى يمر الظن بفؤاده**

(١) يعني سنة تسع وتسعين وستمائة للهجرة . انظر : الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٨/٤١٠) .

مر السحاب؛ ليس له عقل يتفهم، ولا لسان يتكلم، وهذا قد تعارضت عنده الأمارات، وتقابلت عنده الإرادات، لا سيما وهو لا يفرق من المبشرات بين الصادق والكاذب، ولا يميز في التحديث بين المخطئ والصائب، ولا يعرف النصوص الأثرية معرفة العلماء، بل إما أن يكون جاهلا بها وقد سمعها سماع العبر، ثم قد لا يتفطن لوجوه دلالتها الخفية، ولا يهتدي لدفع ما يتخيل أنه معارض لها في بادئ الروية.

فلذلك استولت الحيرة على من كان متسما بالاهتداء، وتراجمت به الآراء تراجم الصبيان بالحصباء، ﴿ هُنَالِكَ ٱبْتُلِيَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ [1])[2].

(أما المنافقون فلهم شأن آخر، ولهم موقف لا يختلف كثيرا عن مواقف أسلافهم في غزوة الأحزاب حين ابتلي المؤمنون، وبلغت القلوب الحناجر، وظنوا بالله الظنونا وكانوا شيعا؛ فمنهم من قال: ما بقيت الدولة الإسلامية تقوم فينبغي الدخول في دولة التتر، وقالت بعض الخاصة: ما بقيت أرض الشام تسكن بل ننتقل عنها إما إلى الحجاز واليمن وإما إلى مصر، وقال بعضهم: بل المصلحة الاستسلام

(١) سورة الأحزاب، الآية (١١).

(٢) الفتاوى (٢٨/٤٤٦- ٤٤٧) .

لهؤلاء كما قد استسلم لهم أهل العراق والدخول تحت حكمهم)[1].

عبر هولاكو بجيوشه الجرارة نهر الفرات ثم اتجه إلى حلب فحاصرها سبعة أيام ثم استسلم أهلها فغدر بهم وأعمل فيهم القتل والسبي فانخلع قلب ملك حماة فأرسل إليه مفاتيح البلد ثم اتجه هولاكو بعدها مباشرة وجعل قائد جيوشه كتبغانوين ولم يجد كتبغا أي مقاومة تذكر في المدينة فدخلوها سريعاً بل تلقاهم كبار المدينة بالرحب والسعة وكتب هولاكو أماناً لأهل البلد ولكن قلعة المدينة لم تستسلم فأحكم عليها التتار الحصار ونصبوا عليها المجانيق وفيهم منجنيق عملاق وظلوا يضربون القلعة ليل نهار حتى تداعت أحجارها وسقطت في (١٤)جمادى الأول فقتلوا متولي القلعة بدر الدين بن قراجا ونقيبها جمال الدين بن الصيرفي ثم سلموا البلد لأمير منهم يقال له إبل سيان ومن هنا تبدأ فصول معاناة جديدة.

كان هذا الرجل لعنه الله معظماً لدين النصارى فاجتمع به أساقفة النصارى في دمشق فعظمهم جداً وزار كنائسهم فصارت لهم دولة وصولة بسبب ذلك حيث ذهب طائفة من النصارى إلى هولاكو وأخذوا معهم هدايا وتحفاً

(١) انظر الفتاوى (٢٨/٤٥٠- ٤٥١) .



فأعطاهم أماناً وفرماناً من جهته فدخلوا من باب توما ومعهم صليب منصوب يحملونه على رؤوس الناس وهم ينادون بشعارهم ويقولون "ظهر الدين الصحيح دين المسيح" ويذمون دين الإسلام وأهله ومعهم أواني فيها خمر لا يمرون على باب مسجد إلا رشوا عنده خمراً ويرشون على وجوه الناس وثيابهم ويأمرون كل من يجتازون به الأزقة والأسواق أن يقوم لصليبهم ودخلوا من درب الحجر الصغير والكبير ووقفوا عند رباط الشيخ أبي البيان ورشوا عنده خمراً فتكاثر عليهم المسلمون حتى ردوهم إلى سوق كنيسة مريم فوقف خطيبهم إلى دكة دكان في عطفة السوق فمدح دين النصارى وذم دين الإسلام ثم حاولوا دخول الجامع الكبير بخمر وكان في نيتهم إن طالت مدة التتار أن يخربوا المساجد ، فقتلوا جميع من قدروا عليه من الرجال والنساء والولدان والمشايخ والكهول والشبان، ودخل كثير من الناس في الآبار وأماكن الحشوش، وقنى الوسخ، وكمنوا كذلك أياماً لا يظهرون.

وكان الجماعة من الناس يجتمعون إلى الخانات ويغلقون عليهم الأبواب فتفتحها التتار إما بالكسر وإما بالنار.

ثم يدخلون عليهم فيهربون منهم إلى أعالي الأمكنة فيقتلونهم بالأسطحة، حتى تجري الميازيب من الدماء في الأزقة، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

وكان الرجل يستدعي به من دار الخلافة من بني العباس فيخرج بأولاده نسائه فيذهب به إلى مقبرة الخلال، تجاه المنظرة فيذبح كما تذبح الشاة، ويؤسر من يختارون من بناته وجواريه.

وكذلك في المساجد والجوامع والربط، ولم ينج منهم أحد سوى أهل الذمة من اليهود والنصارى ومن التجأ إليهم وإلى دار الوزير ابن العلقمي الرافضي ، وطائفة من التجار أخذوا لهم أماناً، بذلوا عليه أموالاً جزيلة حتى سلموا وسلمت أموالهم.

وبقوا حوالي أربعين يوماً يقتلون المسلمين واختفى الناس ولم يصلوا الصلاة جماعة في بغداد أربعين يوماً ؛ لأنهم يخافون القتل .

وقد اختلف الناس في كمية من قتل ببغداد من المسلمين في هذه الوقعة.

فقيل ثمان مئة ألف، وقيل ألف ألف وثمانمائة ألف، وقيل بلغ القتلى ألفي ألف نفس، فإنا لله وإنا إليه راجعون ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ولما انقضى الأمر المقدر وانقضت الأربعون يوماً بقيت بغداد خاوية على عروشها ليس بها أحد إلا الشاذ من الناس، والقتلى في الطرقات كأنها التلول، وقد سقط عليهم المطر فتغيرت صورهم وأنتنت من جيفهم البلد، وتغير الهواء فحصل بسببه الوباء الشديد حتى تعدى وسرى في الهواء إلى بلاد الشام، فمات خلق كثير من تغير الجو وفساد الريح، فاجتمع على الناس الغلاء والوباء والفناء والطعن والطاعون، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ولما نودي ببغداد بالأمان خرج من تحت الأرض من كان بالمطامير والقنى والمقابر كأنهم الموتى إذا نبشوا من قبورهم، وقد أنكر بعضهم بعضاً فلا يعرف الوالد ولده ولا الأخ أخاه، وأخذهم الوباء الشديد فتفانوا وتلاحقوا بمن سبقهم من القتلى، واجتمعوا تحت الثرى بأمر الذي يعلم السر وأخفى، الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى.

هذه مقتطفات مما حكاه الحافظ ابن كثير[1] – رحمه الله – حول ما أصاب المسلمين في غزو بغداد، هذه المآسي وقعت في بغداد حتى سيطر على المسلمين اليأس وشعروا أن التتار قوة لا تهزم، ثم استفاقت الأمة بعد ذلك وقاتلوا التتار وهزموهم وعادت الأمة إلى مجدها ونصرها.

---

(١) البداية والنهاية، (١٣/٢١٨- ٢٣٩).

- في عام (٣١٧هـ) كان القرامطة[1] يحكمون شرق الجزيرة العربية وذهبوا مع رئيسهم سليمان أبو طاهر القرمطي إلى مكة في اليوم الثامن من ذي الحجة (يوم التروية) فقتل الحجيج في المسجد الحرام ورمى جثثهم في بئر زمزم وعرّى البيت ، وأقام بمكّة ستّة أيّام. وقد رُوِيَ أنّه قد قتل ثلاثين ألفاً من الحجّاج ومن سكّان مكّة، وكان ينشد وهو يقتل الحجّاج والأبرياء من سكّان مكّة:

أنا بالله و بالله أنا

يخلق الخلق وأفنيهم أنا

---

(١)القرامطة: حركة باطنية هدامة، اعتمدت التنظيم السري العسكري، ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وحقيقتها الإلحاد والشيوعية والإباحية وهدم الأخلاق والقضاء على الدولة الإسلامية. سميت بهذا الاسم نسبة إلى حمدان قرمط بن الأشعث الذي نشرها في سواد الكوفة سنة ٢٧٨هـ.

عقيدتهم:اعتمدت عقيدة القرامطة كغيرها من فرق الباطنيّة على إخفاء ما يؤمنون به وإظهار أنفسهم على أنّهم مسلمون ليسهل عليهم الاندماج في المجتمع والدعوة إلى دينهم، حتّى إذا وثقوا من تابعهم أطلعوه على خفايا عقيدتهم. وهم يتأوّلون الأحكام الشرعية على ما يوافق ضلالاتهم وأهواءهم، فيتأوّلون قوله – سبحانه وتعالى – ﴿ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٩] على أنّه من عرف التأويل فقد أتاه اليقين، وعليه فمن عرف معنى العبادة فقد سقط عنه فرضها، وأوّلوا كذلك أركان الشريعة: فالصلاة عندهم موالاة إمامهم، والحجّ زيارته وإدمان خدمته، والصوم هو الإمساك عن إفشاء سرّ الإمام لا الإمساك عن الطعام والشراب، والمراد بالزنى عندهم إفشاء سرّهم بغير عهد وميثاق.

وأخذوا الحجر الأسود ، وقائدهم يقول : " **أين الطير الأبابيل ، أين الحجارة من سجيل ؟** "

ووضعوا الحجر الأسود في شرق الجزيرة لمدة اثنين وعشرين عاماً إلى عام (٣٣٩هـ) والحجر الأسود خارج مكة يطوف حوله القرامطة ، يريدون أن ينقلوا كعبتهم إلى هناك .

وقد سبى ما يقارب الثلاثين ألفاً من النساء والغلمان وبقي في إفساده وقتله للمسلمين وقطع طريق الحجّاج وتقتيلهم حتّى امتنع الناس عن الحجّ كما حصل مع حجّاج بغداد بين عام ٣١٩ — ٣٢٧هـ، حيث لم يذهبوا لتأدية فريضة الحجّ خوفاً منهم ومن بطشهم. وقد حاول الركب العراقي خلال هذه الفترة أكثر من مرّة الذهاب للحج كما حدث عام ٣٢٣هـ، إلاّ أن تعرّض القرمطيّ لهم وقتل الحجّاج وسبي الحريم جعلهم يقلعون عن محاولاتهم تلك، حتى أمّنهم القرامطة مقابل دفع ضريبة مقدارها خمسة دنانير على كلّ جمل وذلك عام ٣٢٧هـ، وكانت أوّل مرة يدفع الحاج ضريبة لقاء توجّهه لأداء فرضٍ شرعه الله عليه[1].

(١) المراجع: الملل والنحل، الشهرستاني، جزء ١ ، الفرق بين الفرق، صدر الإسلام عبد القاهر الإسفرائيني. الفصل بين الملل والأهواء والنحل، ابن حزم الظاهري، جزء ٢ التاريخ الإسلامي، محمود شاكر، جزء ٥ و٦. تاريخ الإسلام، الذهبي، حوادث عام ٢٨١ حتّى ٣٢٠.

- الصليبيون حكموا بيت المقدس وأغلقوه لمدة واحد وتسعين عاماً لا تصلى فيه الجمعة ولا الجماعات ، ووضعت الصلبان فوق بيت المقدس من عام (٤٩٢هـ) إلى عام (٥٨٣هـ).

وغيرها وغيرها كثير مما حدث للمسلمين ولكن ما هي النتيجة بعد هذه الحوادث الأليمة ؟ النتيجة هي : النصر والتمكين للمسلمين ، بل زادتهم عزّاً وتمكيناً وقد تكفل الله – سبحانه وتعالى – أمر أولئك، وإن كان قد أمهلهم بعض الوقت، فقضى عليهم ومحى ذكرهم وجعلهم عبرة لمن يعتبر، ولم يبقَ في أيّامنا هذه إلاّ بقايا لهم في تلك الديار. وكان المسلمون يتمثلون قول الله تعالى : ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[1]، وهذا يعطينا أملاً كبيراً بأن واقع الأمة سيتغير بإذن الله .

فالله تعالى يذكر يعقوب عليه السلام: ﴿ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[2] ، ويقول – سبحانه وتعالى – في السورة نفسها: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴾[3]. كما أن هذا يعطينا تصوراً عن واقع

---

(١) سورة آل عمران ، الآية (١٣٩) .

(٢) سورة يوسف ، من الآية (٨٧) .

(٣) سورة يوسف ، الآية (١١٠) .

المسلمين الذي يدفع إلى الأمل ، وأن المستقبل لهذا الدين وأنه سيكون هناك رجعة قوية لهذا الدين ، يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾[1]**، بل لقد وعد الله تعالى بالنصر** ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[2] ، ﴿ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ ﴾[3]،﴿ قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴾[4]**، هذا وعد من الله تبارك وتعالى لابد أن يتحقق ولابد أن يتم، والذين في قلوبهم مرض أو الذين يسيطر عليهم ضغط الواقع كثيرا ماتغيب عنهم هذه الحقائق في وعد الله تبارك وتعالى.**

فالله ناصرٌ دينه وكتابه

والله كافٍ عبـده بأمـان

والله عز وجل قد وعد بني إسرائيل وحقق لهم ما وعد يقول عز وجل: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا

(١) سورة النور ، الآية (٥٥) .

(٢) سورة الروم ، من الآية (٤٧) .

(٣) سورة محمد ، من الآية (٧) .

(٤) سورة التوبة ، الآية (١٤) .

يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴾[1] ، **ثم قال تبارك وتعالى:** ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾[2] ، **وانظر كيف سارت هذه الأحداث بعد ذلك.**

وقال الرسول ﷺ مبشراً بنصر الأمة وارتفاع الحق : ((إن الله زوى لي الأرض – أي ضمها لي – فرأيت مشارقها ومغاربها وإن أمتي سيبلغ ملكها ما زوى لي منها ..))[3] ، وقال الرسول ﷺ : ((ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ، ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر ، إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل ، عزاً يعز الله به الإسلام ، وذلاً يذل به الكفر))[4]، يقول النبي ﷺ هذا الكلام بعد المحاولات المستمرة لفتنته صلى الله عليه وسلم عما أوحى الله إليه ، ليفتري عليه غيره ، لقد حاولوا هذه المحاولة في صور شتى.. منها مساومتهم له أن يعبدوا إلهه في مقابل أن يترك التنديد بآلهتهم و ما كان عليه آباؤهم، و منها طلب بعض الكبراء أن يجعل لهم مجلساً غير مجلس الفقراء..

---

(١) سورة القصص ، الآية (٤) .

(٢) سورة القصص ، الآيات (٥ –٦) .

(٣) أخرجه مسلم .

(٤) أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٠٣/٤) .



وعن أبي قبيل قال : " كنا عند عبد الله بن عمرو بن العاص ، وسئل: أي المدينتين تفتح أولاً القسطنطينية أو رومية فقال الرسول ﷺ : مدينة هرقل تفتح أولاً – يعني القسطنطينية "[1]، ويقول ﷺ : ((تكون النبوة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها الله إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة ، فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً عاضّاً فتكون ما شاء الله أن تكون ، ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها ، ثم تكون ملكاً جبرياً فتكون ماشاء الله أن تكون ، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة – ثم سكت –))[2].

والله – سبحانه وتعالى – يقول: ﴿ وَلَن يَجْعَلَ ٱللَّهُ لِلْكَٰفِرِينَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا ﴾[3].

ولا ينبغي أن ينغلق الذهن على قضية موجودة من القضايا التي تمر بالمسلمين أو الأمة فتصيبنا بالإحباط والكسل ، هذا بالنسبة لواقع الأمة .

---

(١) رواه أحمد في المسند (١٧٦/٢) وقال الشيخ أحمد شاكر رحمه الله في حاشيته على المسند (١٣١/١) إسناده صحيح .

(٢) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٢٧٣/٤) .

(٣) سورة النساء، من الآية(١٤١) .

وتأمل معي أيضاً المواقف التالية :

أصحاب الأخدود هل بقي منهم أحد؟ وهل انتصروا أم انهزموا بعد ذلك؟ لقد انتصروا مع أنهم أحرقوا جميعاً، ودليل انتصارهم أنه لا يوجد في القرآن ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾[1] إلا لهم، ولنتأمل قصتهم كاملة كما رواها الإمام مسلم رحمه الله تعالى بإسناده إلى صهيب رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: **((كان ملكٌ فيمن كان قبلكم، وكان له ساحر، فلما كبر – أي: الساحر – قال للملك: إني قد كبرت، فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر، فبعث إليه غلاماً يعلمه، وكان في طريقه إذا سلك راهب – كان في طريق الغلام إذا سلك إلى الساحر راهب – فقعد إليه وسمع كلامه، فكان إذا أتى الساحر مرَّ بالراهب وقعد إليه، فإذا أتى الساحر ضربه – لأنه يتأخر عن موعد الدرس، درس السحر – فشكا ذلك إلى الراهب – شكا الغلام إلى الراهب فقال – أي: الراهب – : إذا خشيت الساحر فقل: حبسني أهلي، وإذا خشيت أهلك فقل: حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس، فقال: اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل، فأخذ حجراً فقال: اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر**

---

(١) سورة البروج ، من الآية (١١) .

الساحر، فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس، فرماها، فقتلها ومضى الناس، فأتى الراهب فأخبره، فقال له الراهب: أي بني أنت اليوم أفضل مني، وقد بلغ من أمرك ما أرى، وإنك ستُبتلى، فإن ابتليت فلا تدل علي، وكان الغلام يُبرئ الأكمه والأبرص، ويداوي الناس من سائر الأدواء، فسمع جليسٌ للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة – جاء إلى الغلام بهدايا كثيرة – فقال: ما هاهنا لك أجمع إن أنت شفيتني، قال: إني لا أشفي أحداً، إنما يشفي الله عز وجل، فإن آمنت بالله دعوتُ الله فشفاك، فآمن به – الأعمى آمن بالله – فشفاه الله فأتى الملك – الأعمى جليس الملك، جاء إلى الملك – فجلس إليه كما كان يجلس، فقال له الملك: من رد عليك بصرك؟ قال: ربي، قال: ولك ربٌّ غيري – هؤلاء الناس كفرة، مجتمع كافر كانوا يعبدون ملكهم – قال: ربي وربك الله، فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام، فجيء بالغلام، فقال له الملك: أي بني قد بلغ من سحرك ما تبرئ الأكمه والأبرص وتفعل وتفعل؟ فقال: إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فأخذه، فلم يزل يعذبه حتى دل على الراهب، فجيء بالراهب، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فدعا بالمنشار، فوضع المنشار على مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بجليس الملك، فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى فوضع المنشار في

مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه، ثم جيء بالغلام فقيل له: ارجع عن دينك، فأبى، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه – من حاشيته وجنده – فقال: اذهبوا به إلى جبل كذ وكذاا – سمى لهم جبلاً – فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته، فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه – من فوق الجبل – فذهبوا به فصعدوا به الجبل، فقال – أي: الغلام – : اللهم اكفنيهم بما شئت، اللهم اكفنيهم بما شئت، فرجف بهم الجبل، فسقطوا إلا هو، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فدفعه إلى نفرٍ من أصحابه آخرين، قال: اذهبوا به فاحملوه في قرقور – والقرقور هو: السفينة – وتوسطوا به البحر – في منتصف البحر – فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه، فذهبوا به، فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت، فانكفأت بهم السفينة – انقلبت – فغرقوا كلهم، وجاء يمشي إلى الملك، فقال له الملك: ما فعل أصحابك؟ قال: كفانيهم الله، فقال للملك – هذا الغلام – : إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، قال: ما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيدٍ واحد وتصلبني على جذعٍ، ثم خذ سهماً من كنانتي، ثم ضع السهم في كبد القوس، ثم قل: بسم الله رب الغلام، ثم ارم، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتني، فجمع الناس في صعيدٍ واحد وصلبه على جذعٍ، وأخذ سهماً من كنانته، ثم وضع السهم

في كبد القوس، ثم قال: بسم الله رب الغلام، ثم رماه فوقع السهم في صدغه – الصدغ من العين إلى شحمة الأذن – فوضع يده على صدغه في موضع السهم فمات، فقال الناس: آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، آمنا برب الغلام، فأتي الملك فقيل له: أرأيت ما كنت تحذر، قد والله نزل بك حذرك، قد آمن الناس، فأمر بالأخدود بأفواه السكك، فخُدَّت –حفرت في الطرق – وأضرم فيها النيران، وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها، أو قيل له: اقتحم، ففعلوا حتى جاءت امرأةٌ ومعها صبيٌ لها، فتقاعست أن تقع فيها رحمة بالولد، فقال لها الغلام: يا أمه! اصبري فإنك على الحق)).

لنتأمل القصة كاملة ابتداءً من مرحلة الاستضعاف، لما كان الحق لا يعرفه إلا شخص واحد فقط، وحتى نهاية القصة وهي مرحلة إيمان الناس كلهم ، بل لنتأمل قصة الواقع الذي عاشه راوي الحديث وهو صهيب رضي الله عنه وكان مسلماً مضطهداً في قريش، يعذب ويُطارد ويُشرد ويُستولى على ماله، وقصة هجرته إلى المدينة معروفة .

في حساب الأرض تبدو هذه الخاتمة أسيفة أليمة، فقد قتل الناس بإبادة جماعية بينما الفئة الباغية قاعدة تتفرج على المؤمنين وهم يحترقون : ﴿ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ

﴿ ٱلْوَقُودِ ﴾[1] ذات الاشـتعال ﴿ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴾[2] هـؤلاء الطغـاة يتفرجـون ﴿ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴾[3]. ويتلـذذون بصرخات المؤمنين وهم يحترقون، و صحيح أنه في حساب الدنيا هذه النتيجة مؤسفة وأليمة، وقد يعتبرها بعض الناس هزيمة، أي: قُتل الناس وما استفدنا شيئاً، لكن عند الله عز وجل ، في حساب الآخرة ، النتيجة أكبر من ذلك بكثير.

- قوم فرعون، السحرة ، وكان قوم فرعون مشتهرين بالسحر، فأتى فرعون بكل ساحر عليم، وهم أعظم السحرة.. قال ابن عباس : بلغوا سبعين ساحراً. وقال بعض المفسرين: بلغوا اثني عشر ألف ساحر. وقال بعضهم: بلغوا ثلاثين ألفاً، اجتمعوا عند فرعون يوم الزينة، وكان في الصف المقابل لهم موسى الضعيف الذي لا يملك إلا عصا، وعندما أتى السحرة قالوا لفرعون: ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[4] أي: يا فرعون! إذا غلبنا موسى وهارون هل لنا جزاء من أموال ومناصب؟ ﴿ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴾[5]

(١) سورة البروج ، الآيات (٤ – ٥) .
(٢) سورة البروج ، الآية (٦) .
(٣) سورة البروج ، الآية (٧) .
(٤) سورة الشعراء ، من الآية (٤١) .
(٥) سورة الشعراء ، الآية (٤٢) .

وموسى يكلمهم وينصحهم إعذاراً إلى الله جل وعلا: ﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴾[1] **فإذا بالسحرة يتنازعون فيما بينهم، قال الله تعالى:** ﴿ فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ وَأَسَرُّوا النَّجْوَىٰ ﴾[2] **بدأ الهمس بين السحرة ، وموسى ينظر، وحشود الناس ينتظرون، وفرعون ينظر مع حاشيته إلى ذلك الموقف، فكانوا يقولون:** ﴿ قَالُوا إِنْ هَٰذَانِ لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَن يُخْرِجَاكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ (٦٣) فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ ﴾[3]، ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴾[4] **لتنظر إلى التحدي! وإذا بموسى عليه السلام يرد عليهم بكلمة كالمستهزئ بهم :** ﴿ قَالَ بَلْ أَلْقُوا ﴾[5] **ابدؤوا بالإلقاء والناس ينظرون، فإذا بألوف السحرة كل واحد يرمي عصاه والوادي أمامهم، فإذا بالوادي يموج بالثعابين والحيات ..** ﴿ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ (٦٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴾[6] **الناس خافوا، وبعض**

---

(١) سورة طه ، الآية (٦١).

(٢) سورة طه ، الآية (٦٢).

(٣) سورة طه، الآيات (٦٣ –٦٤).

(٤) سورة طه ، الآية (٦٥) .

(٥) سورة طه ، من الآية (٦٦) .

(٦) سورة طه ، الآيات (٦٥ –٦٦) .

الجمهور تراجع من شدة الخوف، فالوادي كله قد امتلأ بالأفاعي وامتلأ بالحيات، هذا المشهد الذي يخبر الله عزَّ وجلَّ عنه بقوله: ﴿ قَالَ أَلْقُواْ فَلَمَّآ أَلْقَوْاْ سَحَرُوٓاْ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴾[1] قذف الرعب والرهبة في قلوب الناس، بل حتى موسى — عليه السلام — ، قال الله: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِۦ خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴾[2] ولم يخف من الحيات والثعابين، إنما خاف على الناس، خاف أن يضل الناس وأن يكفروا، فرح فرعون واستبشر، نظر إلى ذلك السحر فازداد طغياناً وعتواً، فإذا بالوحي ينزل من السماء: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴾[3] انقلبت عصاة موسى عليه السلام ثعباناً حقيقياً، فابتلعت كل الثعابين التي في الوادي ﴿ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَايَأْفِكُونَ ﴾[4].

يقول الله عز وجل: ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ ﴾[5] يقول الله جلَّ وعلا: فوقع، وكأن الحق أمر ثقيل مستقر في الأرض يحطم ما

(١) سورة الأعراف ، الآية (١١٦) .

(٢) سورة طه ، الآية (٦٧) .

(٣) سورة الأعراف ، من الآية (١١٧) .

(٤) سورة الأعراف ، من الآية (١١٧) .

(٥) الأعراف ، من الآية (١١٨) .

تحتــــه : ﴿ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾[1] وإذا بالـــسحرة يندهشون من الأمر: ﴿ فَغُلِبُوا۟ هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا۟ صَٰغِرِينَ ﴾[2].

وإذا بالسحرة كلهم عن بكرة أبيهم يؤمنوا بالله جلَّ وعلا، وخروا على الأرض سجداً: ﴿ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴾[3] وقــالوا ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[4] ﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾ ﴾[5].

قال فرعون : ﴿ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ﴾[6] أراد أن ينقذ نفسه من الموقف، انظروا إلى السخافة ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ﴾[7]، وتلفظوا بقولهم: ﴿ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾[8]، كانوا قبل قليل يحاربون الله ويُكرهون الناس على الكفر، ويقولون لفرعون: ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾[9]، يـريــدون الدنيــا، وبعد لحظــات وإذا بالأجساد تخر لله سجداً قال الله عن

---

(١) سورة الأعراف ، الآية (١١٨).

(٢) سورة الأعراف ، الآية (١١٩).

(٣) سورة الأعراف ، الآية (١٢٠).

(٤) سورة الأعراف ، الآيات (١٢١- ١٢٢).

(٥) سورة الإسراء ، الآية (٨١).

(٦) سورة طه ، من الآية (٧١).

(٧) سورة الأعراف ، من الآية (١٢٣).

(٨) سورة الشعراء ، الآيات (٤٧- ٤٨).

(٩) سورة الشعراء ، من الآية (٤١).

فرعون: ﴿ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكۡرٞ مَّكَرۡتُمُوهُ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لِتُخۡرِجُواْ مِنۡهَآ أَهۡلَهَاۖ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ﴾[1]**، بدأ الآن يهدد، قال:** ﴿ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾[2]**، ماذا قال السحرة؟ لقد كانوا قبل قليل يريدون أمــوالاً ومناصب، ويريدون التقرب والتزلف للحاكم، أما الآن فأجابوا** ﴿ قَالُواْ لَن نُّؤۡثِرَكَ ﴾[3] **لن نحكمك، ولن نختارك يا فرعون:** ﴿ نُّؤۡثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ ﴾[4] **لقد رأينا البينات ، قال بعض المفسرين : إنهم لما سجـدوا كل واحد رأى منزله في الجنة ؛ لأنهم سجدوا يقيناً بالله تبارك وتعالى، وأقسموا على هــذا:** ﴿ وَٱلَّذِي فَطَرَنَا ﴾[5] **أي: نقسم بالذي فطرنا على هذا** ﴿ فَٱقۡضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ﴾[6] **افعل يا فرعون ما تشاء ..** ﴿ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغۡفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكۡرَهۡتَنَا عَلَيۡهِ مِنَ ٱلسِّحۡرِ ﴾[7] **ونفد فرعون ما توعدهم به، وصلبهم على جذوع النخل، وقطع الأيادي**

(١) سورة الأعراف ، الآية (١٢٣) .
(٢) سورة الأعراف ، الآية (١٢٤) .
(٣) سورة طه ، من الآية (٧٢) .
(٤) سورة طه ، من الآية (٧٢) .
(٥) سورة طه ، من الآية (٧٢) .
(٦) سورة طه ، من الآية (٧٢) .
(٧) سورة طه ، من الآية (٧٣) .

والأرجل، وأصبحوا كما قال ابن عباس ﷺ: " أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء بررة ".

- لقد انتصروا على الرغم أنهم قُتلوا، مع أنه قيل إنه لم يبق منهم شخص واحد، بماذا انتصروا؟ انتصروا بالثبات على المبادئ.

وعندما تسلط فرعون على بني إسرائيل واستعبدهم واستذلهم، ثم حصل ما حصل، فأمره الله عز وجل أن يخرج مع بني إسرائيل، فخرجوا فلحقهم فرعون وقومه حتى كانوا أمام الخطر المحدق، البحر أمامهم وفرعون وراءهم ﴿ فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآ ۖ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾[1]. **في الماضي كان فرعون يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم، ومع ذلك يمكن أن يسلم بعضهم ويبقى، أما الآن فبنو إسرائيل محصورون وليس أمامهم إلا الإبادة، فقد شعروا بأن حياتهم منتهية فحصل لهم الفرج بأمر الله تعالى** ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴾[2].

(١) سورة الشعراء، الآيات (٦١- ٦٢).

(٢) سورة الشعراء، الآيات (٦٣- ٦٥).

- ومن ذلك التفاؤل العجيب الذي يبعث الجد والأمل في نفوس الأنبياء، وما حدث ليوسف – عليه السلام – في كل مراحل حياته لم يفارقه التفاؤل من حين بدأت مؤامرة أخوته على قتله ورميه في غيابة الجب ، ثم يباع رقيقاً ويباع بثمن بخس ، وهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم وهي شدة معنوية ، ثم تأتي مراودة المرأة له وتُصَدَّق المرأة مع بهتانها ثم يسجن وفي كل هذه الأحوال لم ييأس وعاش متفائلاً والنهاية ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ ۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1] .

- يعقوب – عليه السلام – في أحلك وأشد ظروفه لم يفارقه التفاؤل ، وذلك عندما جاؤوا بنبأ حجز أخيهم في مصر، فيقول: ﴿ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَنِى بِهِمْ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾ وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ وَٱبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ ٱلْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾[2] **، ومع أنه في تلك الحالة، ومع حرج الموقف، ومع تلك الظروف، ومع قول بنيه:** ﴿ قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا

(١) سورة يوسف ، الآية (١٠٠) .

(٢) سورة يوسف ، الآيات (٨٣ – ٨٤) .

﴿ أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴾[1]. يقول لهم: ﴿ يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾[2].

فلنأخذ من يعقوب درساً، فيعقوب – عليه السلام – لم يفارقه التفاؤل أبداً، وكذلك كان يوسف – عليه السلام – ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم.

- في قصة الإفك حين قُذفت عائشة – رضي الله عنها – بالزنا، فهل كان يدور في بالها حين سمعت هذه المقولة أن هذا الحدث سيكون خيراً لها؟ أو هل كان يدور في أحدٍ ممن عاش الحدث ذلك الوقت أن هذا خير لها؟ إلى أن نزل قول الله تبارك وتعالى: ﴿ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ﴾[3]، فبرأها الله سبحانه وتعالى من فوق سبع سماوات وهي كانت تقول كان شأني في نفسي أحقر من أن ينزل الله فيَّ قرآناً وكان غاية ما تأملته رضي الله عنها أن يري الله تعالى نبيه رؤيا يراها فيها .

وحديث الإفك الذي رميت به أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق ما هو إلا حلقة من حلقات التآمر على الدعوة، ومحاولة تشويه رموزها، ذلك لأن العدو يعلم أن هذا الدين

---

(١) سورة يوسف ، الآية (٨٥) .

(٢) سورة يوسف ، الآية (٨٧).

(٣) سورة النور ، من الآية (١١) .

يقوم على المثال والنموذج والقدوة، تجري فصول هذه الحادثة في وقتٍ كان المسلمون فيه على موعدٍ مع العدوّ في إحدى الغزوات ، حيث خرج رسول الله ﷺ في جيشه مصطحباً معه عائشة رضي الله عنها ، وفي طريق العودة توقّف الجيش للراحة والنوم ، وجلست عائشة رضي الله عنها في مركبها تترقّب لحظة المسير ، وتلمّست نحرها لتكتشف أنها أضاعت عقداً لأختها كانت قد أعارتْها إياه ، فما كان منها إلا أن نزلت من مركبها لتبحث عنه في ظلام الليل ، ولم تكن تدري أن المنادي قد آذن بالرحيل ، وأن الرجال قد جهّزوا رحلها ظانّين أنها بداخله ، وأن الجيش قد انطلق وتركها وحيدة في تلك الصحراء الموحشة .

وما إن وجدت العقد حتى عادت مسرعة لتلحق بركب الجيش ، ولكن الوقت فات ، حيث لم تجد سوى الآثار التي خلّفوها وراءهم ، فحارت ولم تدر ما تصنع ، ثم فكّرت في العودة إلى موضع مركبها لعلّ الجيش يفتقدها ويرسل من يأتي بها ، وهكذا فعلت ، وجلست هناك حتى غلبها النوم في مكانها .

وفي هذه الأثناء ، كان صفوان بن المعطل السلمي – رضي الله عنه – يسير خلف الجيش ليحمل ما سقط من المتاع ، فأدركه الصباح في الموطن الذي كان فيه الجيش ، وإذا به يرى سواد امرأة نائمة ، فعرف أنها عائشة رضي الله

عنها ، والتي أحسّت به فغطّت وجهها ، تقول عائشة – رضي الله عنها –: " **فوالله ما كلمني كلمة ، ولا سمعت منه شيئاً غير قوله : إنا لله وإنا إليه راجعون** " ، فنزل عن راحلته وطلب منها أن تصعد ، ولما ركبت الناقة انطلق بها مولّيا ظهره لها ، حتى استطاع أن يدرك الجيش في الظهيرة .

ولم تمضِ سوى أيام قليلةٍ حتى انتشرت في المدينة إشاعاتٌ مغرضة وطعوناتٌ حاقدة في حقّ عائشة – رضي الله عنها –، روّجها ونسج خيوطها زعيم المنافقين عبد الله بن أبيّ بن سلول ، ووجدت هذه الافتراءات طريقها إلى عدد من المسلمين ، الذين تلقّوها بحسن نيّة ونقلوها إلى غيرهم ، كان منهم حسان بن ثابت الأنصاري – رضي الله عنه – شاعر النبي ﷺ ، و مسطح بن أثاثة – رضي الله عنه – أحد أقرباء أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – ، و حمنة بنت جحش – رضي الله عنها – ابنة عمة النبي ﷺ وأخت زوجته، وعصم الله من بقي من الصحابة عن الخوض في ذلك ، وكان لسان حالهم ومقالهم كما قال القرآن ﴿ وَلَوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

وبلغت تلك الأحاديث سمع النبي ﷺ فكان وقعها عليه شديداً ، ولنا أن نتصوّر المشاعر المختلفة التي كانت تدور في

---

(١) سورة النور ، الآية (١٦) .

نفس النبي ﷺ ، والمعاناة الطويلة التي عاشها في ظلّ هذه الأحداث ، وهو يرى الألسنة تنال من عرضه ، وتطعن في شرفه ، ولا يملك أن يضع لذلك حدّاً أو نهاية .

وعلى الجانب الآخر ، لم تكن عائشة – رضي الله عنها – تدرك ما يدور حولها من أقاويل الناس ، فقد حلّ بها مرض ألزمها الفراش طيلة هذه المدّة ، إلا أنها أحسّت بتغيّرٍ في معاملة النبي ﷺ ، فبعد أن كانت تجد منه اللمسة الحانية، والكلمة الرقيقة ، والمشاعر الفيّاضة ، إذا بها تفقد ذلك كلّه ، وتلحظ اقتصاره ﷺ على الكلمات القليلة ، واكتفاءه بالسؤال عن حالها ، وهي تحاول أن تجد تفسيرا لهذا التحوّل المفاجئ .

وفي ليلة من الليالي خرجت عائشة – رضي الله عنها – مع أم مسطح إلى الصحراء لقضاء الحاجة – كعادة النساء في ذاك الزمان – ، فتعثّرت أم مسطح بثوبها وقالت : " **تعس مسطح** " ، فاستنكرت عائشة – رضي الله عنها – منها هذا القول وقالت : "**بئس ما قلت ، أتسبين رجلاً شهد بدراً ؟** " ، وعندها أخبرتها أم مسطح بقول أهل الإفك.

وكانت مفاجأةً لم تخطر لها على بال ، وفاجعةً عظيمة تتصدّع لها قلوب الرّجال ، فكيف ببنت السادسة عشرة ؟ ، وهي تسمع الألسن توجّه أصابع الاتهام نحو أغلى ما تملكه امرأة عفيفة ، فكيف بزوجة نبي الله ﷺ ؟ .

وكان من الطبيعي أن تؤثّر هذه الإشاعة على صحّة عائشة – رضي الله عنها – فتزداد مرضاً على مرض ، ولم يمنعها ذلك من الوقوف على ملابسات القضيّة ، فبمجرّد أن عادت إلى البيت استأذنت رسول الله ﷺ في الذهاب لأبويها، فلما رأتها أمها قالت : " **ما جاء بك يا بنية** " فقصّت عليها الخبر ، وأرادت الأم أن تواسيها فبيّنت لها أن هذا الكلام حسدٌ لها على جمالها ومكانتها من النبي ﷺ .

ولم يعد هناك مجال للشك ، فها هي والدتها تؤكّد ذلك ، وعَظُم عليها أن تتخيّل الناس وهم يتحدثون في شأنها ، تقول عائشة – رضي الله عنها –: "**.. فبكيت تلك الليلة لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم حتى أصبحت** " ومع هذا كله بقيت متفائلة وتقرأ قوله تعالى : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴾[1] .

وطال انتظار النبي ﷺ للوحي فاستشار علي بن أبي طالب و أسامة بن زيد – رضي الله عنهما – ، أما أسامة فأخبره بالذي يعلمه من براءة أهله ، وأما علي فقد أحسّ بالمعاناة النفسيّة التي يعيشها النبي ﷺ ، فأراد أن يريح خاطره ، فأشار عليه بأحد أمرين : إما أن يفارقها ويتحقّق

(١) سورة يوسف ، من الآية (١٨) .

من براءتها لاحقاً ، وحينها يمكنه إرجاعها ، وإما أن يطّلع على حقيقة الأمر بسؤال بريرة مولاة رسول الله ﷺ .

فدعا رسول الله ﷺ بريرة وقال لها : ((**هل رأيت من شيء يريبك** ، فقالت : **لا والذي بعثك بالحق ما علمت فيها عيباً**)) ، ثمّ ذكرت صغر سنّها وأنّها قد تغفل عن العجين الذي تصنعه حتى تأتي الشاة تأكله ، وسأل رسول الله ﷺ زينب بنت جحش – رضي الله عنها – عن أمرها فقالت : ((**يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيراً**)).

وكانت هذه الشهادات كافيةً أن يصعد النبي ﷺ المنبر، ويطلب العذر من المسلمين ، في رأس الفتنة عبد الله بن أبي بن سلول ، وذلك بقوله : ((**يا معشر المسلمين ، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي ؟ ، فوالله ما علمت على أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلاً – يعني صفوان بن المعطّل – ما علمت عليه إلا خيراً، وما كان يدخل على أهلي إلا معي**)) ، فقام سعد بن معاذ رضي الله عنه فقال : " **يا رسول الله ، أنا أعذرك منه ، إن كان من الأوس ضربتُ عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك** " ، فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وقد أخذته العصبيّة فقال لسعد : " **كذبت ، لا تقتله ولا تقدر على قتله** " ، واختلف الأوس والخزرج ، وكاد الشيطان أن يُوقع بينهم ، فلم يزل رسول الله ﷺ يهدّئهم حتى سكتوا .

وبعد أن بلغت القضيّة هذا الحدّ ، لم يكن هناك مفرّ من الذهاب إلى عائشة – رضي الله عنها – لمصارحتها بالمشكلة واستيضاح موقفها ، فدخل عليها النبي ﷺ ومعها امرأة من الأنصار ، فجلس النبي ﷺ وتشهّد ثم قال : ((**أما بعد ، يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه**)) ، فلما سمعت قوله جفّت دموعها ، والتفتت إلى أبيها فقالت : " **أجب رسول الله فيما قال** " ، فقال : " **والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ** " ، ثم التفتت إلى أمّها فكان جوابها كجواب أبيها ، وعندها قالت : " **لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقرّ في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم أني منه بريئة – والله يعلم أني منه بريئة – لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر – والله يعلم أني منه بريئة – لتصدقنّني ، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلاً إلا قول أبي يوسف حين قال** : ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾[1] .

ثم استلقت – رضي الله عنها – على فراشها ، وهي تستعرض الحادثة في ذهنها منذ البداية وحتى هذه

---

(١) سورة يوسف ، الآية (١٨) .

اللحظة، وبدا لها أن آخر فصول هذه القصّة ستكون رؤيا يراها النبي ﷺ تُثبت براءتها ، ولكنّ الله سبحانه وتعالى أراد أن يخلّد ذكرها إلى يوم القيامة ، وإذا بالوحي يتنزل من السماء يحمل البراءة الدائمة ، والحجة الدامغة في تسع آيات بيّنات ، تشهد بطهرها وعفافها ، وتكشف حقيقة المنافقين ، فقال تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ جَاءُو بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُم مَّا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّىٰ كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾[1] .

وانفرج الكرب ، وتحوّل حزن الرسول ﷺ فرحاً ، فقال لها: ((**أبشري يا عائشة ، أمّا الله عز وجل فقد برّأك**)) ، وقالت لها أمها : " **قومي إليه** " ، فقالت عائشة – رضي الله عنها – امتناناً بتبرئة الله لها ، وثقةً بمكانتها من رسول الله ﷺ ومحبته لها : " **والله لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله عز وجل** ".

فكانت رضي الله عنها متفائلةً في جميع أوقاتها وفي أيام محنتها بالذّات ، كما أنها كانت مستبشرة بظهور الحق لها وذلك برؤيا يريها الله تعالى نبيه ﷺ ، فكانت براءتها بآيات تتلى إلى يوم القيامة .

---

(١) سورة النور ، الآية (١١) .

- ومثل ذلك ما حصل لمريم حينما حملت بعيسى حتى قالت: ﴿قَالَتْ يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا﴾[1] فكان خيراً لها فحملت بنبيٍّ من أولي العزم من الرسل.

- وقد كان ﷺ في أصعب الظروف والأحوال يبشر أصحابه بالفتح والنصر على الأعداء، وفي هجرته إلى المدينة وهو فارٌّ بدينه باحثاً عن موطئ قدم لدعوته نجده ﷺ يبشر عدواً يطارده يريد قتله بكنز سيناله وسوار مَلِكٍ سيلبسه[2]، وأعظم من ذلك دين حق سيعتنقه، وينعم به ويسعد في رحابه.

- ذكر الإمام البخاري في صحيحه عن الزهري قال : (أخبرني عبد الرحمن بن مالك المدلجي وهو ابن أخي سُراقة بن جعشم ، أن أباه أخبره أنّه سمع سُراقة بن جعشم يقول : جاءنا رُسل كُفار قريش يَجعلون في رسول الله ﷺ دِية كُل واحد منهما من قَتله أو أسره ، فبينما أنا جالس في مَجلس من مَجالس قومي بني مُدلج ، أقبل رجل منهم حتى قام علينا ونحن جالسون فقال : يا سُراقة إني قد رأيت آنفاً أسودة في الساحل ، أراها محمداً وأصحابه ، قال سُراقة — فعرفت أنهم هم — فقلت له : إنهم ليسوا بهم ، ولكنك رَأيت فلاناً وفلاناً انطلقوا بأعيننا ، ثم لبثت في المجلس

(١) سورة مريم ، من الآية (٢٣) .

(٢) القصة أصلها في الصحيحين ، لكن سواري كسرى من مرسل الحسن ، وهي ضعيفة .

ساعة ، ثم قمت فدخلت فأمرت جاريتي أن تَخرج بفرسي ، وهي من وراء أكمة فتحبسها علي ، وأخذت رُمحي فخرجت به من ظَهر البيت فخططت بزجه[1] الأرض ، وخفضت عاليه ، حتى أتيت فرسي فَركبتها، فَرفعتها تَقرب بي حتى دَنوت منهم ، فعثرت بي فرسي ، فخررت عنها فقُمت، فأهويت يَدي إلى كنانتي فاستخرجت منها الأزلام ، فاستقسمت بها : أضرهم أم لا ؟ فخرج الذي أكره ، فركبت فرسي وعصيت الأزلام تقرب بي ، حتى إذا سمعت قِراءة رسول الله ﷺ وهو لا يلتفت وابو بكر يُكثر الالتفات ساخت[2] يدا فرسي في الأرض حتى بلغتا الركبتين ، فخررت عنها ، ثم زجرتها فنهضت ، فلم تكد تخرج يديها ، فلما استوت قائمة إذا لأثر يديها عثان[3] ساطع في السماء ، مثل الدخان فاستقسمت بالأزلام ، فَخرج الذي أكره ، فناديتهم بالأمان ، فوقفوا فركبت فرسي حتى جئتهم ، ووقع في نفسي حين لقيت ما لَقيت من الحبس عنهم أن سيظهر أمر رسول الله ﷺ ، فقلت له : إنّ قَومك قد جَعلوا فيك الدية ، وأخبرتهم أخبار ما يُريد الناس بهم ، وعَرضت عليهم الزاد والمتاع ، فلم يرزآني ولم يسألاني إلا أن قال :

---

(١) الزج: الحديدة التي في أسفل الرمح .

(٢) ساخت : غرزت في الأرض .

(٣) العثان : الدخان أو الغبار الذي يشبه الدخان .

اخف عنا ، فسألته أن يكتب لي كِتاب أمن ، فأمر عامر بن فهيرة فكتب من رقعة من أدم ، ثم مضى رسول الله ﷺ)[1] .

(ولما رجع سراقة جعل لا يلقى أحداً من الطلب إلاّ رده ، وقال : كفيتم هذا الوجه ، فلما ظهر أن رسول الله ﷺ قد وصل إلى المدينة جعل سراقة يقص على الناس ما رأى وشاهد)[2] .

ومضت السنون والأعوام ، ونصر الله رسوله ﷺ وفتح مكة، ثم الجزيرة العربية ، ثم ساح المسلمون في الأرض فاتحين ، ففتحوا في عهد عمر كنوز كسرى ، وأخذ عمر بن الخطاب رضي الله عنه السوارين ، ونادى في الناس أين سُراقة بن مالك ؟ فيجده فإذا هو قد شاخ فأعطاه سواري كسرى وقال له : **(إلبسهما واصعد المنبر وارفع يديك ، وقل صدق الله ورسوله)**[3] ، وقد تحقق وعد الرسول ﷺ بعد وفاته بسنوات، ولذا ينبغي ألا نستعجل النتائج .

إن الأحداث السيئة قد تكون خيراً ، والمتفائلون هم الذين يبحثون في الأحداث عن البشائر والمبشرات، وليسو هم أولئك الذين يسيطر عليهم اليأس والقنوط .

---

(١) صحيح البخاري ، متن فتح الباري ، (٨/٢٣٩- ٢٤٢).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٣/٢٠٤).

(٣) قبسات من حياة الرسول ﷺ (ص ٢٩- ٣٠) .

حينما يأتي إلينا في قرية فيها فقر مدقع وجهل وتخلف، رجل متفائل ورجل متشائم، فالرجل المتشائم كل ما يراه في هذه القرية يزيده إحباطاً، إنه يشعر أن الأمية منتشرة، ومستوى التعليم فيها لا يشجع، وفيها فقر، وليس فيها بنية اقتصادية، ليس فيها طرق، ولا إمكانات، لا بيئة يمكن أن تهيئ للاستثمار أو تحرك النشاط الاقتصادي في البلد، والناس يعانون من البطالة والأمراض وغيرها، هذه نظرته وكل ما يراه فيها يؤيد عنده هذه الحقيقة. أما المتفائل فيرى أن هذه القرية تعيش وضعاً سيئاً، لكنه يلتمس الجوانب التي يمكن أن تنطلق منها، يقول إن البلد فيها بطالة، ولكن يمكن أن نستفيد منها ويمكن أن نشغل هؤلاء ولو بأجور محدودة، هؤلاء يمكن أن يكونوا نواة لمشاريع تحيي البلد، ويمكن أن يكون فيها بيئة جيدة للتعليم. فالموقف الواحد ينظر إليه هذا الرجل بأنه سلبي وينظر إليه الآخر بأنه إيجابي.

وحينما نعيش روح التفاؤل فإن الأحداث التي تواجهنا ينبغي أن نتعامل معها بتوازن، نعم نحن لا نعيش في أحلام، ولا نتغافل عن المخاطر لكن إذا كنا نريد الإصلاح والتغيير فلنبحث عن الجوانب والثغرات التي يمكن من خلالها أن نصلح ونصل إلى الهدف المنشود.

لو جاء لص يريد أن يسرق بنكاً من البنوك، فهو يبحث عن نقطة الضعف التي يمكن أن يصل منها، إنه حين يأتي هذا المبنى ويجده محصناً، ثم يجد ثغرة محدودة يستطيع أن يتسلل من خلالها فكل نظرته مسلطة على هذه الثغرة، ليحصل من خلالها على ما يريد، ثم يخرج وكل العوامل الأخرى التي هي بالنسبة له تمثل خطراً يتغافل عنها. لماذا لا نتعامل مع الأحداث التي تواجهنا بهذه الروح؟ لم لا نبحث عن مواطن الثغرات التي يمكن أن نستثمرها؟ التغير الهائل الذي سيواجهنا اليوم لماذا لا نبحث عن كيفية استثماره في الإصلاح وتغيير واقع المسلمين ؟ صحيح أنك ترى في مجمله شراً لا يؤذن بخير وأن الأمر لو كان بأيدينا لما تمنينا أن يحصل، لكن ليست مسؤوليتنا أن نبحث عن جوانب الخطورة، والذي ينبغي أن نفكر فيه أن نبحث عن نقاط نتسلل من خلالها ونستثمر مثل هذه الأحداث لتكون منطلقاً لإصلاح أوضاعنا.

- بل إن الأوضاع السيئة يمكن استثمارها بالإصلاح، فالأفراد الذين لديهم رغبة في التغيير يستثمرون واقعهم السيئ لينطلقوا من خلاله إلى الإصلاح، وأضرب على ذلك مثالاً: حين جيئ بالإمام أحمد — رحمه الله — ليجلد في الفتنة ووضعوه في السجن مع اللصوص وقطاع الطرق وأتوا به ليجلد أمسك به رجل وقال: أتعرفني قال لا، فذكر له

ما هو عليه من السرقة وقطع الطريق، وقال: أني جُلدت كذا وكذا في السرقة فلم يردني ذلك عن السرقة، وأنت تجلد على الحق فأنت أولى مني أن تثبت، هذا رجل مجرم ولا يزال مصراً على الجريمة، ولكن عنده بذرة خير جاء لينصح الإمام أحمد ويثبته، يبحث عن شيء شاهد من واقعه ينطلق به فلا يجد إلا تاريخ فساد فيستغل تاريخه في الفساد ليكون منطلقاً ليثبت من خلاله الإمام أحمد.

ومن نماذج الأحداث التي لا يُرى منها إلا الوجه المسيء وفيها الخير ونحن لا نعلم ما جاء في سيرة النبي ﷺ نماذج عدة، ومنها:

حادثة الهجرة

- حادثة الهجرة، فقد حاصر المشركون بيت النبي ﷺ حتى أنه ﷺ لم ينم في بيته وخرج وصاحبه إلى الغار واختفيا فيه سلكا طريقاً، وكان المشركون قد استنفروا قواهم ليظفروا بمحمد ﷺ وصاحبه حياً أو ميتاً، وبلغ الأمر غاية الشدة فما الذي حصل بعد ذلك؟ استقر المسلمون وأقاموا الدولة، وبنوا المسجد وصلوا مطمئنين.

غزوة الأحزاب

- جاءت غزوة الأحزاب بعد ما أصاب المسلمين ما أصابهم في غزوة أحد يريدون أن يقضوا على هذه الطائفة تماماً، وجيشوا الجيوش وجاءت الآلاف المؤلفة من الأحزاب إلى المدينة وحاصرتها، اليهود من ورائهم والأحزاب من أمامهم، حتى صار الأمر كما قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ

ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ۞ إِذۡ جَآءُوكُم مِّن فَوۡقِكُمۡ وَمِنۡ أَسۡفَلَ مِنكُمۡ وَإِذۡ زَاغَتِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلۡقُلُوبُ ٱلۡحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ۞ هُنَالِكَ ٱبۡتُلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَزُلۡزِلُواْ زِلۡزَالٗا شَدِيدٗا ﴾[1] **حتى بلغ بهم الأمر كما قال حذيفة – رضي الله عنه – : كان أحدهم لا يستطيع أن يذهب ليقضي حاجته لوحده وحوصروا حصاراً صارماً، والموقف ليس حرباً متكافئة الطرفين أو أنه ستغلب مجموعة وتنهزم الأخرى، إنما الموقف في غاية الخطر والخطر الداهم الذي يمكن أن يجتاح المدينة كلها ويبيدها تماماً، حتى نجم النفاق وقالوا ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً كانت النتيجة أن قال ﷺ ((الآن نغزوهم ولا يغزوننا)).**

- جاء صلح الحديبية واشترط المشركون شروطاً وكان الذي سخطه المسلمون هو أن من جاء من المسلمين إليهم يعيدونه إلى المشركين، والمسألة ليست شرطاً فحسب إنما هو موقف يثير العواطف، يجيء أبو جندل يرسف في قيوده، فيقول أبوه للنبي ﷺ : هذا أول ما أقاضيك عليه أن تعيده، فيسأله الرسول ﷺ أن يدعه فيقول : لا، فيقول أبو جندل: يا معشر المسلمين أرد إلى المشركين يفتنونني في ديني. وتزامن

(١) سورة الأحزاب ، الآيات (٩ –١١) .

هذا الموقف مع الشرط الذي حتم عليهم ترك العمرة هذا العام، والعودة من العام المقبل، حتى فعل عمر - رضي الله تعالى - عنه ما ندم عليه، وبعد ذلك كله ما الذي حصل؟

كان هذا الصلح خيراً للمسلمين كان فتحاً حتى أنزل الله قوله: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[1] والشرط الذي اشترطه المشركون كان فيه الخير، فقد هرب أبو بصير ﷺ وجاء إلى النبي ﷺ ورده، وهرب إليه ضعفاء المسلمين وهددوا قريشاً حتى جاءت قريش ترجوه أن يتنازل ويقبل ضعاف المسلمين.

ومن نتائجه أيضاً أنه لما صالح المشركين وأمن شرهم تفرغ المسلمون لليهود في خيبر وقضوا عليهم، وتفرغوا للمناطق الأخرى التي حول المدينة وانتشرت دعوة الإسلام حتى صار عدد الذين دخلوا الإسلام من صلح الحديبية حتى فتح مكة أكثر من الذين دخلوا الإسلام منذ أن جاء النبي ﷺ إلى صلح الحديبية، فانظر كيف كان الصلح ثم حين نقضت قريش هذا الصلح كان سبباً في فتح مكة، وخيراً للمسلمين.

- مات النبي ﷺ وأصاب المسلمين ما أصابهم وارتدت بعض قبائل العرب حتى ما بقي إلا المدينة ومكة والطائف

---

(١) سورة الفتح ، الآية (١) .



ومن حولهم من الصادقين، حتى كادت طائفة منهم تشعر باليأس ثم فرج الله تعالى لهم فما أن انتهت خلافة أبي بكر الصديق – رضي الله تعالى – عنه التي لم تتجاوز السنتين وبضعة أشهر حتى أخضعت الجزيرة العربية كلها، وعاد المرتدون إلى دولة الإسلام وبدأت الفتوحات في بلاد فارس والروم، وبدأ المسلمون يغزون فارس والروم بعد سنتين وبضعة أشهر.

خرج الرسول ﷺ من مكة فأقام في المدينة دولةً ملأت سمع التاريخ وبصره .

وأذكر في هذا المقام كلاماً نفيساً لأبي الفرج بن الجوزي من صيد الخاطر يعبر عن هذه المفاهيم فيقول – رحمه الله – : " **من نزلت به بلية ، فأراد تمحيقها (ذهابها) فليتصورها أكثر مما هي تهن (عليه) ، وليتخيل ثوابها (الذي يأتي بعد المصيبة) وليتوهم نزول أعظم منها ، يرى الربح في الاقتصار عليه (يعني أنه إذا جاءته مصيبة فيرى أنها يسيرة بالنسبة لما هو أكبر منها) وليتلمح سرعة زوالها (الأمل) فإنها لولا كرب الشدة ما رجيت ساعات الراحة وليعلم أن مقامها عنده كمدة مقام الضيف يتفقد**

حوائجه في كل لحظة فيها سرعة انقضاء مقامه " انتهى كلامه – رحمه الله – [1] .



(١) صيد الخاطر ، ابن الجوزي، ص (٧٠).

- **نشر ثقافة التفاؤل ..**

فيزرع المعلم التفاؤل في نفوس طلابه ، والمدير في نفوس موظفيه ، والزوج في نفس زوجته ، والوالدان في نفس أبنائهم فبمقدورنا مساعدة كل هؤلاء لأن يكونوا متفائلين، عندما ينطبع تفاؤلنا عليهم ، فالمواقف قابلةٌ للعدوى فهل مواقفنا التفاؤلية جديرة بأن يتأثر بها الآخرون ؟.

وقد ذكر د. مايكل ميرسر ، د. ما ريان ترويانى ، في كيف يصبح الشخص متفائلاً أو متشائماً : (في أحد الأيام كنا نسير في إحدى الطرقات ، ولا حظنا كيف يتعلم الناس أن يصبحوا متفائلين أو متشائمين ، فقد شاهدنا طفلاً صغيراً يعدو مسرعاً وفجأة سقط على الأرض بعنف إلى حد أننا توقعنا تحطم الرصيف !

وبينما هو ينهض إذ بأمه تدلف إليه مسرعة وتصرخ قائلة : " أوه ، يا صغيري ، هل أنت على ما يرام ، هل أصبت ؟ أعتقد أن إصابتك بالغة ! أين موضع جرحك ؟ هل أنت بخير ؟ إن إصابتك بالغة!!" ثم انفجر طفلها بالبكاء .

وبعد عدة دقائق شاهدنا طفلاً آخر يعدو مسرعاً ، ثم انكفأ ليرتطم بنفس الرصيف فجاءة .

ونهض الطفل من عثرته وبدا عليه أثر دوار خفيف من وقع سقوطه على الرصيف ، وإذ بأمه تهرع إليه قائلة : " أوه ،

يا صغيري ، هل أنت على ما يرام ؟ إنك ولد رائع وأعتقد أنك لم تتأثر بهذا التعثر وإنني لفخورة بك !" وإذ بالأم تبتسم ، ليبتسم ابنها ثم تعانقه وتقبله)[1] .

فالأطفال يتصيدون مشاعر آبائهم ، فعلى سبيل المثال ، قام باحثون من جامعة واشنطن هم "كاول هوفين " و " لين كاتز" و " جون جوتمان " بفحص العلاقة بين النضج العاطفي للآباء ونجاح أطفالهم في كافة أنشطة الحياة اليومية ، فوجدوا أن الآباء الذين يتمتعون بنضج عاطفي يُنشئون أطفالاً ذوي أداء حسن في المدرسة وفي الحياة بصفة عامة ، وقد تم إجراء مقارنة بين هؤلاء الأطفال وأقرانهم الذين لديهم آباء لا يتمتعون بنضج أو استقرار عاطفي فوجدوا أنهم :

- من الناحية العلمية : تمكنوا من قراءة كتب متقدمة وتحقيق درجات عالية .
- من الناحية السلوكية : قال المعلمون والآباء: إن تصرف الأطفال يقع تحت السيطرة ويكون أقل إزعاجاً .
- من الناحية الشعورية : يقل لديهم القلق العاطفي وتزداد القدرة على محاولة إيجاد الحلول .

---

(١) التفاؤل التلقائي ، د. مايكل ميرسر ، د. ما ريان ترويياني ، ص ١٦٠.

- مـن الناحيـة الاجتماعيـة : يقيمـون علاقـات أفـضل مـع الآخرين[1] .

فالآبـاء المستقرون عاطفيـاً يربـون أطفـالاً حـالمين ؛ لأن الآبـاء المتفـائلين يفـسرون الـصعوبات لأطفـالهم بأسـلوب يعلمهم أن المشاكل والأزمات :

- لها حل[2] .
- عدم الارتباك لكثرة المشاكل .
- ألا يتذمروا إذا واجهتهم مشاكل .

أي أن الآبـاء المتفـائلين يعلمـون أطفـالهم أنـه يمكـن التعامل مع كل شيء في الحياة ، وعلى مواجهة أي مشكلة تـواجههم، ولمعرفـة كيفيـة تنـشئة أطفالنـا علـى أن يكونـوا متفـائلين علينـا أن نطبـق التقنيـات الـتي بيَّناهـا سـابقاً بالإضافة إلى :

- ضـرورة مـشاركة أبنائنـا بـالمرح ، والابتعـاد عـن المشاكل والشكوى .
- أن نظهر لأطفالنا الحب والتفهم .

---

(١) التفاؤل التلقائي ، د. مايكل ميرسر ، د. ما ريان ترويياني ، ص ١٦٧ .

(٢) وجد عالم النفس " ديفيد ماكليلاند " الحاصل على الدكتوراه ومؤسس تحفيز الإنجاز أن الأطفال الذين يحققون إنجازات كبيرة ينتمون لأسر تشجعهم على الانخراط في حل مشاكل الأسرة ، مما ينقل بدوره الاحترام إلى الطفل ، حيث إن إغداق الثناء على طفلك لحل المشكلة يكسبه الشعور بالثقة والكفاءة والتفاؤل. [التفاؤل التلقائي ، د.مايكل ميرسر ، د. ما ريان ترويياني ، ص ١٧٤] .

- الإصغاء إلى أبنائنا عندما يخبروننا عن أنشطتهم ، وتخصيص وقت مميز لذلك .
- إظهار الود الجسدي بعناقهم وتقبيلهم .
- تقدير ذواتهم ، والابتعاد عن النقد الهدام .

ذكر صاحب كتاب (كيف تستمتع بحياتك وعملك ، مختارات من أكثر الكتب مبيعاً) :

لقد عرفت " هارولد أبوت " لسنوات . كان يعيش في مدينة " ويب " بولاية " ميسوري " ، وكان هو المشرف على إدارة وتنظيم المحاضرات التي ألقيها ، وفي أحد الأيام تقابلنا بمدينة كانساس ، وأوصلني بسيارته إلى مزرعتي في " بيلتون " بولاية " ميسوري " وأثناء الطريق سألته كيف حافظ على نفسه دائماً بعيداً عن القلق ، فأخبرني بقصة مثيرة تركت أثراً كبيراً في نفسي ، حتى إنني لن أنساها أبداً ، فقال : " لقد اعتدت أكون إنساناً كثير القلق ، إلاّ أنه في أحد أيام الربيع عام ١٩٣٤، كنت أسير بشارع " دورتي " بمدينة " ويب " عندما رأيت مشهداً طرح كل أسباب قلقي وتبرمّى بعيداً . لقد استغرق المشهد عشر ثوانٍ فقط ، إلا أنني تعلمت خلال هذه الثواني العشر الكثير عن الطريقة التي يجب عليّ أن أعيش بها أكثر .

مما تعلمت خلال السنوات العشر السابقة . لقد كنت أدير متجراً للبقالة بمدينة " ويب " وحدث أن فقدت كل



مدخراتي ، ليس هذا فقط ، بل إنني كان عليّ تحمل ديون استغرقت مني سبع سنوات ؛ لردها مرة أخرى . كان متجري قد تعرض للإغلاق في يوم السبت السابق لهذا اليوم الذي أحكي عنه ، وكنت في ذلك اليوم متجهاً إلى " بنك التجار والمشتغلين بالتعدين " لاقتراض بعض المال ؛ كي أتمكن من الذهاب إلى مدينة " كانساس" بحثاً عن وظيفة . كنت أسير كرجل مهزوم ، تغلبت عليه الظروف ، كنت فقدت إيماني ومعركتي مع الحياة ، وفجأة رأيت في الطريق رجلاً ليست له رجلان ليسير عليهما . كان يجلس على لوح خشبي صغير مزود بعجلات خاصة بالزلاجات . كان يدفع نفسه طول الطريق مستخدماً قطعة خشبية في كل من يديه ، وقد قابلته بعد أن كان قد عبر الطريق لتوه ، وكان يحاول رفع نفسه عدة بوصات ؛ ليضع نفسه أعلى حافة رصيف المشاة ، وبينما كان يفعل ذلك التقت أعيننا ، فحياني بابتسامة كبيرة قائلاً " صباح الخير يا سيدي . إنه صباح جميل ، أليس كذلك ؟ " قال ذلك بروح معنوية مرتفعة ، وبينما أنا واقف أنظر إليه ، أدركت مقدار غناي ، فإن لدي ساقين ، ويمكنني أن أسير ، فأحسست بالخجل من شعوري بالأسى على نفسي ، وقلت لنفسي : إن كان بإمكانه أن يكون سعيداً ، ومبتهجاً ، واثقاً من نفسه ، وهو ليست له رجلان ليسير عليهما ، فبالتأكيد يمكنني ذلك ، وأنا لدي

رجلان ، وشعرت بالفعل بالحماس يملأ صدري . لقد كنت أنوي أن أطلب من البنك مئة دولار فقط ، لكنني الآن لدي الشجاعة لأن أطلب مئتي دولار ، والآن أقول : لقد كنت أشعر بالإحباط ، لأنني لا املك حذاءً حتى قابلت في الطريق من لا يملك قدمين[1] .

أحصِ ما لديك من عطايا وهبات وليس من المشكلات .



(١) كيف تستمتع بحياتك وعملك ، مختارات من أكثر الكتب مبيعاً " كيف تؤثر على الآخرين وتكتسب الأصدقاء " و " وكيف تتخلص من القلق وتبدأ الحياة " ، ديل كارنيجي ، ص٥١.

- **تدرب وابدأ في التغيير الآن ..**

فربما كانت هذه الخطوة هي الأصعب على النفس ، ولنعلم أن عملية التغيير عادةً ما تكون عملية بطيئة ومتدرجة ، فلنبدأ الآن بدون تسويف ولا تراخٍ ، ولا تنتظر معجزة أو كرامة تحدث لتغير حياتك من كونك متشائماً إلى متفائل .



♦ وبعد ...

أخي الكريم/أختي الكريمة شكراً لاقتنائك هذا الكتاب والذي يتعاظم فيه أملي في جعلنا متفائلين عسى الله أن يعيننا على التغيير .

واسمح لي أخي القارئ/أختي القارئة أن أختم كتابي بقصة جميلة قرأتها في كتاب (هكذا هزموا اليأس)بعنوان : (الأمل البعيد .. قصة واقعية) تقول كاتبة القصة :

(قد تتعجبون عند قراءتكم لقصتي وقد تقولون : أنها ضرب من الخيال ولكن لتعلموا أن كل حرف فيها ينبض بالصدق والحقيقة فقد نسجتها لكم من خيوط معاناتي .. لتعرفوا فقط أنني ما عانقت اليأس فيها يوماً لأنني توكلت على ربي سبحانه وفوضت أمري إليه فمنحني قوة الإيمان والأمل .. التي جدفت بهما حتى رسوت في النهاية على ميناء السعادة والحقيقة ، فاقرؤوها .. لتزرعوا الأمل فيما بعد في جنبات حياتكم .. ولتطردوا منها كل طائر يأس قد يعشش فيها .

عشت طفولة بائسة أقل ما يقال عنها بأنها كئيبة مظلمة وسط أسرة فقيرة لا تكاد تجد ما تسد به رمقها من الجوع .. لم أعرف طعم الحلوى والسكاكر كباقي الأطفال في طفولتي البائسة تلك ، ومازلت أذكر كيف أننا كنا ننتظر الأعياد ومناسبات الأفراح لجيراننا وأهل

الحارة بفارغ الصبر والترقب لأننا نتذوق من خلالها اللحوم والفواكه التي نحرم منها طوال العام .. كانت أسرتي أسرة مفككة لا يكاد أي فرد فيها يشعر بالآخر فلكل منا عالمه الخاص المغلق عليه هو فقط ولا يستطيع أي كان أن يدخل إليه لا لأن أبوابه موصدة بقوة .. بل لأن أيا منا لم يكن ليهتم بدخول عالم الآخر فكل فرد من أسرتي للأسف كان لديه ما يشغله من أعمال وخصوصيات يخجل قلمي من ذكرها ..!!

كان أبي يعمل " مستخدماً " في أحد المعارض وراتبه البسيط لا يصل بالأسرة الكبيرة إلى نهاية الشهر بأمان .. بل كثيراً ما تتوقف بنا سفينة الحياة في منتصف الشهر .. هذا بالرغم من بؤس عيشنا وشظف حياتنا!!

كان والدي إنساناً سلبياً قانعاً من الحياة بعشرة أطفال مشردين في الشوارع أحياناً لا يعلم عنهم شيئاً .. وربما كان لاستخدامه المخدرات في بداية حياته وكثرة دخوله وخروجه من السجن آثاراً سلبية جعلته لا مبالياً بكل ما حوله .. كنت أشفق عليه أحياناً وأنا أرى نبتة الأمل تذبل في نفسه يوماً بعد الآخر كان كثير الصمت والشرود لا يحرك ساكناً ولو انهارت الدنيا من حوله .. أو كأنما هو أحس بأن خيوط حياته قد أفلتت من بين يديه فآثر ألا يركض وراءها فأذعن لها بكل انهزامية واستسلام .. أما

والدتي واعذروني إن تحدثت عنها بهذه الطريقة المؤلمة .. فالحقيقة أشد إيلاماً ، فقد كانت تتسكع بين بيوت الحارة طوال يومها وكأنها لم تستوعب يوما أنها زوجة وأم .. عليها واجبات تجاه زوجها وأبناؤها وكانت دائماً تنظر إلى ما في أيدي الآخرين وتحسدهم على ما أنعم الله به عليهم وتستجديهم وتريق ماء وجهها ليجودوا عليها بعض الفتات، فكأن أمي وأبي قد اعتبروا أن هذه الأسرة مصيبة حلت عليهم فهم يخشون مواجهتها أو حتى التعايش معها ..!! أما إخوتي فحدث ولا حرج فهم يعيشون بين جنبات الشوارع بلا هدف ولا معنى .. وأغلبيتهم انحرفوا عن جادة الصواب والطريق القويم دون أدنى مساءلة من أبي وأمي .. حتى إخوتي البنات لم يقمن وزناً للأخلاق ولا للشرف ولا حتى لنظرة المجتمع من حولهن ..!! والكارثة العظمى أن إخوتي بمجرد وصولهم إلى الصف الرابع الابتدائي فإنهم يتسربون من مدارسهم بلا سبب سوى ضجرهم وعدم قدرتهم على النهوض صباحاً فيقررون هكذا الانقطاع عن المدرسة دون حسيب أو رقيب والاكتفاء بالتقلب داخل رحم التخلف والانحراف والتشرد .. في ظل شرود أبي وتسكع أمي بين شوارع الحارة.

عشت هذه الطفولة الكئيبة وأنا كارهة لوضعي ناقمة على أمي وأبي اللذين تجردا من أشرف وأسمى لقب في

الوجـود ، متـشبثة بدراسـتي ، وكـأني بقـوة سمكـة صـغيرة مرتجفـة تـسبح ضـد التيـار الـذي لا يـرحم ، وقـد كنـت مـن المتفوقـات بـالرغم مـن قـسوة الظـروف مـن حـولي وتفكـك أسرتي وانحراف أفرادها بـلا استثناء .. وسأحدثكم الآن عـن اليـوم الـذي غـير مـسار حيـاتي للأبـد وفيـه بـدأت مأسـاتي الحقيقية والتي لولا إيماني بالله ورحمته بي لما تجاوزتها ..

فحين حـصلت علـى شهادة الـصف الثالـث متوسـط وأنـا الوحيـدة مـن أسـرتي الـتي وصـلت إلى هـذا المستوى .. تقـدم رجل لخطبتي من أبي وكنت حينها في الخامسة عشرة مـن عمـري أمـا هـو فكـان في الـستين مـن عمـره مـصاباً بالـضغط المرتفـع والـسكري ومـدمناً للخمـر وتـاجراً للمخـدرات .. ممـا يُدر عليه دخلاً مرتفعاً وهـذا هـو الـسبب الوحيـد الـذي جعـل لعـاب أمـي وأبـي يـسيل ولا يكـاد يقـاوم الإغـراء المـادي الـذي يتراقـص أمامهمـا بكـل بريـق ولمعـان ، ومـن دون تـردد وافقـا ودون حتى أن يأخذا موافقتي .

صـــرخت في وجهيهمـــا .. لا أريـــده.. أريـــد أن أكمـــل دراستي.. زوجوه أختي الكبرى .. ولكن للأسف كـان صـوتي مجـرد صـدى يـتردد مـن حـولي دون أن يـسمعه أحـد سـواي وكأنما كنت أحادث الفراغ اللامتناهي أمامي ، أما والداي فقد أصما عقليهمـا إلا مـن نـداء المال!! قبضت أسـرتي ثمـن البيعـة الخاسـرة وهـي مـسرورة بـالرغم مـن علمهـم بأنـه مـن

مصدر حرام .. وتم زفافي وسط جو كئيب من التعاسة واللامبالاة .. فتخيلوا أن أمي لم تفكر حتى في توجيه أي نصيحة لي تلك الليلة أو حتى إلقاء نظرة على زينتي وماكياجي الذي وضعته أنا على وجهي ولم تتفقد أغراضي التي أحتاج إليها في بيتي الجديد.. أتعلمون ما أول شيء وضعته في حقيبتي ، وضعت دروسي وكتبي والتي كنت أتعلق بها كما يتعلق الطفل الصغير بثوب والدته خشية ضياعه منها في دروب الحياة الغامضة .

ودخلت داري الجديدة ، عفواً أقصد سجني وبمجرد أن أغلق الباب وراءه بدأ بافتراسي كما يفترس الذئب ضحيته بكل وحشية ودموية حاولت الهرب منه ولكنه لم يمهلني بل بدأ بتمزيق فستان زفافي ومعه مزق كل معنى جميل كنت أحاول رسمه لحياتي القادمة ..

وبعد أن انتهى من جريمته تناول شرابه الكريه واستلقى على فراشة كثور ضخم متبلد الإحساس دون حتى أن يكلمني أو ينظر إلى وجهي وارتفع صوت شخيره البغيض وهو أشبه بصوت طرق عنيف على أذني .. ولكم أن تتخيلوا فتاة في الخامسة عشر من عمرها في هذا الموقف المروع الذي اغتال آدميتها ونقاءها ، أخذت أرتجف بألم وأجفف جراحي النازفة وأهدئ من روعي المتصاعد من هذا الوحش الآدمي .. الذي يرتدي عباءة الزوج ..



خمس سنوات مرت من عمري دفعتها كفاتورة قاسية للجشع والطمع اللذين أعميا أبصار أهلي ، خمس سنوات من عمري دفعت ثمنها غالياً وذقت فيها كل ألوان العذاب من ضرب بالسياط والنعال – أكرمكم الله – والحبس وحتى الحرمان من الطعام وكأنني خادمة يتيمة في قبضة سيد اشتراها من ماله فهو يتحكم بها كيفما يشاء .. كل ذلك لم يقهرني بقدر ما قهرني وجعلني أنزف من الداخل حرماني من الدراسة ورفضه التام لذهابي إلى المدرسة أو حتى لانتسابي وأدائي للاختبار نهاية العام ، أصبحت أَشْبَهَ بهيكل عظمي نتيجة الهم والغم الذي أصابني بسبب حرماني من الدراسة ، ولكن الله الرازق الرحيم يشاء أن يهبني أطفالاً يشغلونني عن كثرة التفكير بحرماني من الدراسة التي أعشقها إلى درجة لا يتصورها إنسان ، أنجبت ولدين وبنتاً خلال خمس سنوات فقط وأنا في العشرين من عمري لقد عاهدت نفسي أن أجنب أطفالي جميع ما مررت به في طفولتي من ألم الإهمال وعدم الإحساس بالأبناء.. ولكن أنى لي ذلك وأبوهم إنسان متجرد من شرف الأبوة ؟ فبمجرد أن يشرب الخمر ويصبح ثملاً فإنه يقوم بضربي وإياهم على أتفه الأسباب .. أتدرون أنني في أغلب الليالي الطويلة كنت أحتضنهم وأنام وإياهم ونحن جالسين خوفاً من أن يقوم بقتلنا كما كان يتوعد دائماً ؟!

أمـا حـين يكـون بحاجـة للمخـدر ولا يجـده فإنـه يقـوم بتحطـيم الأثـاث وتكسير الأوانـي وطـردي مـع أطفـالي إلى الـشارع وكـثيراً مـا قـام جيراننـا الطيبـون بإيوائنـا رحمـة وشفقة بنا .

ولعلكـم تتـساءلون عـن والـديَّ ودورهمـا في مـساعدتي ؟ اسمحوا لـي أن أصدمكم بقـولي :إنهمـا لم يحركـا سـاكناً تجاه ما يريانه من أحداث مؤلمة تحيط بي . وكاد اليأس أن يتسلل إلى نفـسي مـن هـذه الحيـاة الـسوداء التعيـسة الـتي أعيشها ولكن قوة إيماني بربي كانت تحول بيني وبين هذا الـشبح البغـيض .. دعـوت الله في تلـك الليـالي المدلهمـة أن يفـرج كربـي ويزيـل عـني هـذا الـبلاء الـذي تعجـز نفـسي المرهفـة عـن تحملـه! واسـتجاب الله لـدعائي .. ففـي ذات يـوم سمعـت صـراخ الجـيران مـن حولنـا وهـم ينـادون علـي " يـا أم فلان .. زوجـك .. زوجـك " ركـضت أنـا وأطفـالي مـسرعين خرجنـا مـن الـدار لنـرى مـا حـدث .. لقـد قـام زوجـي الـسكير بـالعراك مـع رجـل مـن زبائنـه اختلـف وإيـاه علـى ثمـن قطعـة هيروين فتطاعنا بالسكين فطعنه زوجي طعنات قاتلـة فمـات على الفور ..

لقد شاهدت زوجي المجرم وقد تلطخت ملابسه بالـدماء وهو يرتجف بين أيدي رجـال الـشرطة ، كمـا يرتجـف الفـأر المـذعور حـين يقـع في المـصيدة ، كانـت شـفتاه تمـيلان إلى

اللون الأبيض من هول الموقف ، وأطرافه لا تكاد تحمله ، أما عيناه فكانتا زائغتين ينظر إلى الناس من حوله بذهول .

أما أنا فلا تسألوني عن مشاعري المضطربة حينها ، لا أدري أهي لحظات سعادة ، أم شماتة أنتظرها من زمن طويل، أم هي مشاعر ألم هيجتها ذكرياتي المؤلمة ، لم أشعر إلا وأنا أردد: الحمد لله ..

الحمد لله ، تذكرت تلك الليلة الحزينة ليلة زفافي الأليمة ، رجل سكير يحمل بين جنبيه قلباً من صخر لا رحمة فيه ولا شفقة ، وارتجافي بين يديه بخوف ، لم أكن أعلم أين أفر ، ولم يكن لي مهرب تذكرت ، دموعي الساخنة في تلك الليلة السوداء ، يا إلهي هاهو الزمن يعيد تصويره العجيب إنه اليوم في نفس موقعي بالأمس ، يا لها من دنيا عجيبة .

وبعد أسبوع فقط من القبض عليه وقبل حتى أن تبدأ محاكمته ، جاءت قدرة الله تعالى ليموت بعد ارتفاع الضغط وإصابته بنزيف دماغي ، أتتخيلون البلبل الصغير حين يفتح له باب القفص فجأة فيتردد في الانطلاق ظناً منه أن ذلك حلم ، كنت أنا مثله تماماً ، بصقت على دولاب ملابسة وعلى كؤوس خمره القذرة وعلى سوطه الذي ألهب جسدي وجسد أطفاله من ضرباته المؤلمة بصقت على كل شبر في منزلي سار عليه ودنسه برجليه

الكريهتين، وجاءت أسرتي تعزيني بوفاته وأنا التي لم أرهم منذ سنتين فكانت أول كلمة قالتها أمي حتى قبل أن تقبلني " الله يرحمه .. هل عنده ورث ؟"!! ولولا خوفي من الله لطردتها وطردتهم جميعاً ، ومن تقدير الله أن زوجي كان مديوناً وحين علمت أسرتي بذلك لم أعد أراهم ، فقد خافوا أن أشكل عليهم عبئاً إضافياً عليهم أنا وأطفالي ، شعرت بالألم الممزوج بالقهر ، فيا لها من بيعة خاسرة تلك البيعة التي أبرمها أهلي مع ذلك الجلاد .. خمس سنوات من عمري ضاعت ، وحين كان أهلي يستعدون لجني الأرباح وجدوا أن الأسهم خاسرة .. ففضلوا الهرب بعيداً ، جلست أفكر ملياً فأنا الآن أمام مفترق الطرق، فأنا أرملة جميلة في العشرين من عمري لدي ثلاثة أطفال ، وليس لدي مورد رزق .. ماذا أفعل ؟!! أمامي طريقان أسلكهما الأول هو طريق الكفاح والصبر .. والأمل البعيد ، والثاني طريق الكسب السريع حين أبيع أنوثتي للراغبين في امرأة جميلة ووحيدة .

اخترت الطريق الأول بلا تردد.. فأهم شيء حصلت عليه من رحلتي المؤلمة أنني أصبحت حرة ليس لهؤلاء عديمي الرحمة والشفقة قيد علي فكان أول ما فعلته أنني بعت آخر قطعة ذهب خبأتها عندي بمبلغ لا بأس به ورحلت عن هذا المنزل الكريه الذي شهد أسوأ ذكرياتي .. وانتقلت أنا

وأطفالي إلى مدينة بعيدة وهناك استأجرت غرفة صغيرة بحمامها ، واشتريت موقداً صغيراً وسريراً مستعملاً ليضمني أنا وأطفالي ، وبعض الأواني القديمة المستعملة ، أعترف أنها غرفة حقيرة حتى في نظر الفقراء ولكن ما جعلها مثل الحلم بنظري هو أنني وحدي فيها مع أطفالي فأنا التي أحدد مصيري بعد إرادة الله طبعاً فلا أحد بعد اليوم سيرسم لي طريق حياتي البائسة .

بدأت أبحث عن عمل شريف أعيش منه وأنا صغاري ولقد سخر الله لي جيران طيبين ساعدوني كثيراً فقد كانوا يتصدقون علينا ببعض الطعام والملابس القديمة وأحسنوا إلى فجزاهم الله عني خير الجزاء ووجدت عملاً حكومياً كمستخدمة في إحدى المدارس الثانوية القريبة من بيتي ، ولا أنسى أول راتب قبضته في حياتي ، صحيح أنه كان بسيطاً ولكن دموعي انهمرت من عيني لحظة استلامه بكيت كثيراً وحمدت الله على رزقه وإعانتي على لقمة العيش الشريفة ، اشتريت لأطفالي ملابس جديدة وألعاباً وطعاماً طيباً ولأول مرة منذ أربعة أشهر أطبخ لحماً ودجاجاً لأطفالي ، واشتريت لهم بسكويتاً وشوكولاته ، كنت أرى السعادة تتراقص في أعينهم وهم يتلذذون بما أحضر لهم خاصة حين هجرنا الخوف من ذلك المجرم

الذي كان يضربنا في كل لحظة وكأننا كلاب شريرة جاءت تتسول على بابه .

مرت سنة كاملة على وأنا في وظيفتي استطعت خلالها أن أكسب احترام مديرتي وتعاطف المعلمات وحب الطالبات بما منحني الله من تفانٍ بالعمل وإخلاص ، وذات يوم سألت نفسي لم لا أكمل تعليمي الثانوي خاصة أنني في مدرسة ثانوية وعرضت الأمر على مديرتي فشجعتني كثيراً وفعلاً قدمت أوراق انتسابي وكانت صدفة أن ابني البكر يدرس في الصف الأول الابتدائي وأنا في الصف الأول ثانوي ، اجتهدت كثيراً في دراستي بالرغم من الأحمال الملقاة على عاتقي كأم وموظفة وطالبة ، وفي خلال ثلاث سنوات حصلت على شهادة الثانوية العامة بنسبة سبع وتسعين بالمئة وكانت هذه النسبة مفاجأة لكل من حولي بكيت كثيراً وأنا أرى ثمار جهدي بدأت تنضج ..

انتقلت من عملي كمستخدمة وقدمت على وظيفة كاتبة في إحدى الدوائر الحكومية براتب جيد بالإضافة إلى تقديم أوراق انتسابي إلى الجامعة قسم التربية الإسلامية ، استأجرت شقة صغيرة مكونة من غرفتين وصالة ومطبخ مستقل وحمام ولأول مرة يدخل التلفزيون إلى بيتنا بعد أن أخذت سلفه من البنك أثثت فيها الشقة أثاثاً جديداً صحيح أنه كان بسيطاً ولكنه لم يكن مستعملاً وبدأت

أرتاح نوعاً ما في حياتي خاصة أن أطفالي جميعهم دخلوا المدارس وأصبحوا من المتفوقين دراسياً وأخلاقياً ، اشتريت لأطفالي ما كانت نفوسهم تهفو عليه من ألعاب رخيصة ، وملابس بسيطة وحاولت قدر الإمكان أن أعوضهم عن حاجتهم إلى العائلة الكبيرة ، فكونت صداقات عميقة مع زميلات وأخوات في الله ، كن نعم العون لي فكنا نذهب في نزهات وزيارات معاً نُروح عن أطفالنا والذي كان يثلج صدري ويمنحني الصبر والأمل هو نظرات الحب التي كنت أراها في عيون أطفالي وتلك القبلات اللذيذة التي كانوا يعطرونني بها بمناسبة أو بدونها .

مرت أربع سنوات عصيبة حصلت فيها على البكالوريس بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى ثم استقلت من عملي ككاتبة وتم تعييني معلمة في مدرسة ثانوية كان ابني الكبير في الثالثة عشرة من عمره حين أصبحت معلمه احتضنني بقوة وهو لا يكاد يغالب دموعه قائلاً " أمي انا فخور بك أنت أعظم أم في العالم " واحتضنتهم جميعاً وظللنا نبكي بلا شعور لساعات طويلة ، ولأول مرة في حياتي اقبض مرتباً ضخماً ، تصدقت بنصفه كشكر لله على نعمه المتوالية علي وبما يسر لي من أسباب الرزق وبنصفه الباقي اشتريت لأطفالي جميع ما يحتاجون إليه وبدأت فيما بعد أدخر جزءاً كبيراً منه لبناء منزل خاص بنا ، وقدمت على

الماجستير وحصلت عليها خلال سنتين فقط بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف ، وبدأت في بناء منزلنا الكبير المكون من طابقين به عشر غرف وصالتان ومطبخ ومستودع وحديقة كبيرة ومسبح جميل وقدمت على الدكتوراه وكان مشوارها صعباً جداً وخاصة أن أطفالي بدؤوا يكبرون ويتدرجون في فصولهم فكان الإرهاق يكاد يقتلني أحياناً وأنا أشتت نفسي بين عملي كمعلمة وبين مذاكراتي للدكتوراه وأبحاثي وبين مذاكرة أولادي وبين الإشراف على البناء والتأثيث والذي كان أثاثاً فخماً ورائعاً ، وحصلت خلالها على درجة الدكتوراه وبامتياز أيضاً مع مرتبة الشرف وتم تعييني كأستاذة في الجامعة ، وأنا في السابعة والثلاثين من عمري أتعلمون لحظة استلامي لشهادتي بمن فكرت ؟ لقد فكرت بأمي ! تُرى لو رأتني في هذا المشهد فهل كانت ستبكي من الفرح ، أم أنها ستسألني عن العائد المادي الذي سأجنيه من وراء ذلك ؟!

ولكن لا تعتقدوا أني إنسانة عاقة لوالدتي أو أنني لم أحاول صلتها في ما مضى بل بالعكس لقد ذهبت إليها أكثر من مرة خلال مشوار حياتي فوجدتها كما هي لم تتغير تتسكع بين بيوت الجيران وتهفو إلى المال دائماً أياً كان مصدره حتى إنها كثيراً لا تسال شقيقاتي من أين

يـأتين بالمال بـل أهـم مـن ذلـك أن يعطينهـا شـيئاً منـه ، أمـا والدي فقد توفي بعد زواجي بسنة واحدة .

اقتطعـت جـزءاً مـن مـرتبي شـهرياً وكنـت أرسـله لأمـي بانتظام إلى أن توفاها الله بعد ذلـك .. أما إخوتي وأخواتي فلـم يكـن يُـشرفني التعـرف إلـيهم أو تواجـدهم في حيـاتي فابتعـدت عـنهم مـن أجـل أبنـائي ، ابتـسمت الحيـاة لـي بعـد عبوس طويل فها أنا الآن لي مركزي الاجتماعي وأعيش في بيت فخم وعندي الخدم والسائقون وأبنائي جميعهم قد تخرجوا مـن جامعـاتهم العلميـة فـابني الكبير أصبح طبيبـاً جراحـاً والآخـر مهندسـاً معماريـاً والـصغرى طبيبـة أطفـال ، وقد زوجتهم جميعاً وأصر ابني الكبير أن يعيش هـو وزوجتـه معي فملأ علي البيت بالحياة وضحكات الأحفاد وها أنا الآن في الخامسة والخمسين من عمري .

قصتي هذه أهديها إلى كـل يـائس ومحبط لعـل بهـا مـن بصيص الأمل ما يبدد لحظات اليأس في حياته !!

وصـدقوني لـو استـسلمت لليـأس ولحظاتـه المريـرة لمـا وصلت إلى هذه الحياة التي أعيشها الآن بفضل الله سبحانه وتعـالى ثـم بفـضل تمـسكي بالأمـل رغـم كـل الخطـوب مـن حولي .

اليأس قاتل حين نشرع له أبوابنا كضيف ثقيل لا يبـالي بمشاعر الاخرين .. فيا أيها البائس إياك أن تفتح له بابك

وإن ادلهمت من حولك الصعاب ...!! فصدقوني ومن تجربة خضتها واستطعت النجاح فيها ليس هناك أجمل من التفاؤل والتشبث بالأمل حتى وإن كان صغيراً)[1] .

وأنا أروي القصة لكم بلا تعليق .. ليعلق عليها كل واحد من القراء بما يشاء!.



(١) هكذا هزموا اليأس ، ص ٢٨٨.

وأخيرا ..

وبرغم أن صفحات الكتاب قد قاربت (٢٤٣)صفحة وهو وقد يخالف نسبياً بعض وجهات النظر التي تخص الكتابة للمجتمع بالكثير من الإيجاز والتيسير إلا أنني في نهاية المطاف أتمنى أن أكون قد أوصلت الفكرة المرجوة وأن تكون المطالعة في هذا الكتاب (كن متفائلاً) زاداً ثقافية مفيدة ، فلا أكاد أزيد على ما صنعته في هذا الكتاب ، وإن طمعي بالأجر يحملني أن أسأل كل من قرأ هذا الكتاب أن يدعو لكاتبه .

وسأسعد بالتواصل معي على العناوين التالية:

البريد الالكتروني : majeds1@hotmail.com
أو على ص . ب : ٣٨١٤٣٤ الرياض ١١٣٤٥

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

تدوين الفوائد :

لندوّن ..

فلكل فائدة وقتها ونفعها ..

من يكتب يقرأ مرتين ..

كان المأمون يوصي بعض بنيه فيقول : اكتب أحسن ما تسمع ، واحفظ أحسن ما تكتب ، وحدّث بأحسن ما تحفظ ..

قال جمال الدين القاسمي : لو جمع كل واحد منا كل ما سمع أو قرأ من المسائل والفوائد المهمة ، لتم جمع أعظم مما دوّن في كتب الأدب والدين ..

♦

♦

♦

♦

♦

♦

♦

♦

المراجع :

١. القرآن الكريم .

٢. أبجد العلوم ، صديق بن حسن القنوجي ، المكتبة القدوسية ، ١٤٠٣هـ .

٣. أتح لنفسك فرصة ، جوردون بايرون ، تعريب عبد المنعم الزيادي ، مكتبة الخانجي .

٤. إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين ، السيد مرتضى الزبيدي ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٩هـ .

٥. أرقام تحكي العالم ، محمد صادق مكي ، مجلة البيان ، ١٤٢٧هـ .

٦. أسئلة تصل بك إلى الهدف ، أندرو فينالسون ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٢م ، مكتبة جرير .

٧. إعلام الموقعين عن رب العالمين ، ابن قيم الجوزية رحمه الله تعالى ، تحقيق : أبي عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان ، دار ابن الجوزي ، ١٤٢٣هـ .

٨. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، ابن قيم الجوزية ، تحقيق : محمد حامد الفقي ، دار المعرفة للطباعة والنشر ، بيروت .

٩. إغاثة المستفيد بشرح كتاب التوحيد ، الشيخ : صالح بن فوزان الفوزان ، دار الرسالة ، ١٤٢٢هـ .

١٠. آفاق المستقبل ، جاك اتالي ، ترجمة د. محمد زكريا إسماعيل ، دار العلم للملايين ، ١٩٩٢م .

١١. آفاق بلا حدود ، د. محمد التكريتي ، دار المنطلق ، ١٤١٥هـ .

١٢. افعل شيئاً مختلفاً ، عبد الله علي العبد الخالق ، الإبداع الفكري ، ١٤٢٦هـ .

١٣. اقتل اليأس وانطلق نحو الحياة ، أحمد سالم بادويلان ، دار الحضارة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٨هـ .

١٤. الآداب الشرعية والمنح المرعية ، ابن مفلح ، مؤسسة قرطبة .

١٥. الأدب المفرد ، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي ، تحقيق : محمد فؤاد عبدالباقي، دار البشائر الإسلامية، ١٤٠٩هـ .

١٦. الأعلام ، خير الدين الزركلي ، دار العلم للملايين ، ١٩٨٠م .

١٧. الإنسان الفعال ، جمال جمال الدين ، الطبعة الثانية ، ١٤٢٦هـ ، دار الفكر .

١٨. الإنسان والتفكير الإيجابي ، د. عيسى ملا ، ١٤١٤هـ .

١٩. الإيمان والحياة ، د. يوسف القرضاوي ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٧هـ .
٢٠. البداية والنهاية ، ابن كثير ، تحقيق الدكتور : عبد الله عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر .
٢١. التفاؤل التلقائي ، د. مايكل ميرسر ، د. ما ريان ترويباني ، مكتبة جرير ، الطبعة الأولى ٢٠٠٥م .
٢٢. التفسير القيم لابن القيم ، جمعه محمد أويس القرني ، دار الكتب العلمية.
٢٣. التفسير الميسر ، د. عائض القرني ، مكتبة العبيكان ، ١٤٢٧هـ .
٢٤. التفكير علم وفن ، هنري هازليت ، ترجمة : حامد العبد ، مكتبة الأنجلو المصرية .
٢٥. التوازن في حياة المسلم ، عبد الرحمن البديع ، دار طيبة ، ١٤١٥هـ .
٢٦. الثبات ، د. محمد بن حسن بن عقيل موسى ، دار الأندلس الخضراء ، ١٤١٧ه .
٢٧. الجامع الصحيح سنن الترمذي ، محمد بن عيسى ، دار إحياء التراث العربي، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون .
٢٨. الجامع الفريد للأسئلة والأجوبة على كتاب التوحيد ، للشيخ : عبد الله بن جار الله الجار الله – رحمه الله – ، مؤسسة قرطبة ، ١٤١٨هـ.
٢٩. الحزن والاكتئاب في ضوء الكتاب والسنة ، د. عبد الله الخاطر – رحمه الله – المنتدى الإسلامي ، ١٤١٣هـ .
٣٠. الخطب المنبرية ، د. عبدالعزيز السدحان ، دار العاصمة ، ١٤٢٠هـ .
٣١. الرياض الندية في ذكر الربانيين حُرّاس الهوية الإسلامية ، د. سيد حسين العفاني ، دار العفاني ، ١٤٢٧هـ .
٣٢. السقوط من الداخل ، د. محمد بن سعود البشر ، دار العاصمة ، ١٤١٥هـ .
٣٣. السلسلة الضعيفة ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتبة المعارف.
٣٤. السيرة النبوية ، ابن هشام ، مؤسسة علوم القرآن .
٣٥. السيرة النبوية كما جاءت في الأحاديث الصحيحة (قراءة جديدة) ، محمد الصوياني ، مكتبات ونشر العبيكان ، ١٤٢٧هـ .
٣٦. الشباب ومعركة الحياة المعاصرة ، د. وليد طافش ، مؤسسة الرسالة .
٣٧. الشخصية الناجحة ، عبد الله اليوسف ، دار البيان العربي ، ١٤١٤هـ .
٣٨. الصحة النفسية والعلاج النفسي ، د. حامد زهران ، عالم الكتب ، ١٩٨٢م .

٣٩. العادات السبع لأكثر الناس فعالية ، ستيفن كوفي ، مكتبة جرير ، ٢٠٠٠م .

٤٠. العادات السبع للقادة الإداريين ، ستيفن كوفي ، ترجمة : هشام عبد الله ، ١٩٩٨م ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر .

٤١. العبادات القلبية وأثرها في حياة المؤمنين ، د. محمد موسى الشريف ، دار المجتمع ، ١٤٢٧هـ .

٤٢. العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام ابن تيمية ، محمد بن عبد الهادي ، مكتبة المؤيد .

٤٣. العوائق ، محمد أحمد الراشد ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٨هـ .

٤٤. الفتور : آثاره وأسبابه وعلاجه ، د. جاسم بن محمد بن مهلل الياسين ، دار الدعوة ، ١٤٠٨هـ .

٤٥. الفصل في الملل والأهواء والنحل ، ابن حزم .

٤٦. الفصول في اختصار سيرة الرسول ﷺ ، ابن كثير ، مؤسسة علوم القرآن .

٤٧. الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، ١٤٠٨هـ ، مكتبة دار البيان .

٤٨. القلائد من فرائد الفوائد ، د. مصطفى السباعي ، دار الوراق ، ١٤٢٣هـ.

٤٩. القول المفيد على كتاب التوحيد ، للشيخ : محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله – دار ابن الجوزي ، دار العاصمة ، ١٤١٨هـ.

٥٠. الكامل في التاريخ ، ابن الأثير ، بيت الأفكار الدولية .

٥١. اللؤلوء والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان ، محمد فؤاد عبد الباقي ، المطبعة العصرية ، الكويت .

٥٢. المدير المستقل ، قصة نجاح أغرب مكان عمل في العالم ، ريكاردو سملر .

٥٣. المستفاد من قصص القرآن للدعوة والدعاة ، د. عبدالكريم زيدان ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٨هـ .

٥٤. المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية ، عبدالله الشبانة ، دار طيبة .

٥٥. المصفى من صفات الدعاة ، عبد الحميد البلالي ، دار الدعوة ، ١٩٨٩ .

٥٦. الملخص في شرح كتاب التوحيد ، الشيخ : صالح بن فوزان الفوزان ، دار العاصمة، ١٤٢٢هـ .

٥٧. الملل والنحل ، الشهرستاني ، دار مكتبة المتنبي ، ١٩٩٢م .

٥٨. المهذب من إحياء علوم الدين ، صالح الشامي ، دار القلم ، ١٤١٣هـ .

٥٩. النجاح للمبتدئين ، زيج زيجلر ، ١٩٩٩م ، مكتبة جرير .

٦٠. النهاية في غريب الحديث والأثر ، حققه طاهر بن أحمد الزاوي و محمود بن محمد الطناحي ، دار الباز .

٦١. الهزيمة النفسية عند المسلمين ، د. عبد الله الخاطر رحمه الله ، المنتدى الإسلامي .

٦٢. أيقظ قواك الخفية ، أنتوني روبنز ، مكتبة جرير ، ٢٠٠٥م .

٦٣. بدائع الفوائد ، ابن قيم الجوزية ، دار عالم الفوائد ، ١٤٢٥هـ .

٦٤. تاريخ الطبري ، الإمام الطبري ، بيت الأفكار الدولية .

٦٥. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ، دار الكتاب العربي .

٦٦. تأملات في الإنسان ، رجاء النقاش ، ٢٠٠٣ م ، مكتبة الأسرة .

٦٧. تجارب وخبرات قد تُغير مسار حياتك ، باسل شيخو ، دار القلم ، ١٤٢٨هـ .

٦٨. تحسين التفكير بطريقة القبعات الست ، إدوار دو بونو ، ترجمة د. عبد اللطيف خياط ، المكتبة المكية ، ١٤١٤هـ .

٦٩. تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي ، محمد بن عبد الرحمن المباركفوري ، دار الفكر .

٧٠. تعلم التفاؤل ، د. مارتين سليجمان ، مكتبة جرير ، الطبعة الثانية ٢٠٠٥م .

٧١. تهذيب مدارج السالكين ، ابن قيم الجوزية ، هذبه عبد المنعم صالح العلي العزي ، ١٤٢٢هـ مؤسسة الرسالة .

٧٢. تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد ، الشيخ : سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله تعالى ، دار الفكر ، ١٤١٢هـ .

٧٣. جدد حياتك ، محمد الغزالي ، ١٤٢٠هـ ، دار القلم .

٧٤. جولة في رياض العلماء وأحداث الحياة ، أ. د. عمر سليمان الأشقر ، دار النفائس ، ١٤٢٠هـ .

٧٥. حاشية كتاب التوحيد ، للشيخ : عبد الرحمن بن قاسم رحمه الله ، ١٤١٤هـ .

٧٦. حتى لا تكون كلا ، طريقك إلى التفوق والنجاح ، د. عوض محمد القرني، دار الأندلس الخضراء ، ١٤١٨هـ.

٧٧. حصاد السنين ، د. عبدالعزيز عزت الخياط ، دار السلام للطباعة والنشر ، ١٤٢٨هـ .

٧٨. حكايات كفاح ، د. كفاح فياض ، قرطبة للنشر والتوزيع ، ١٤٢٦هـ .

٧٩. خطوات بسيطة : تسعة أشياء يمكن أن تفعلها لتعيش حياة رائعة ، د. آرثر كاليادرو وباري لينسون ، ٢٠٠٥ م ، مكتبة جرير .
٨٠. خلق المسلم ، محمد الغزالي ، ١٤٢١هـ ، دار القلم .
٨١. خواطر في زمن المحنة ، يمان السباعي ، ١٤١٧هـ ، مكتبة أسامة .
٨٢. خواطر من واحة الفكر ، د. سمي القباني ، ١٤٢١هـ ، دار الفكر .
٨٣. دع الحزن وابدأ الحياة ، عبد الله الزهراني ، دار الطرفين ، ١٤٢٣هـ .
٨٤. دلالات الفقه التربوي في بعض تراجم البخاري (١)، د. أحمد محمد العليمي، ١٤٢٢هـ ، دار ابن حزم .
٨٥. دليل التدريب القيادي ، د. هشام الطالب ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، ١٤١٤هـ .
٨٦. دليل السائلين ، أنس إسماعيل أبو داود .
٨٧. دليلك الشخصي للسعادة والنجاح ، د. إبراهيم بن حمد القعيد ، الندوة العالمية للشباب الإسلامي ، ١٤١٨هـ .
٨٨. رسائل سباب الدعوة ، د. جاسم بن محمد بن مهلهل الياسين ، مؤسسة الريان، ١٤٢٤هـ .
٨٩. رياض الدعاة والمصلحين ، بهاء الدين عقيل ، د. عبد العزيز مصطفى ، دار طيبة ، ١٤٢٦هـ .
٩٠. زاد المعاد في هدي خير العباد ، ابن قيم الجوزية ، الرسالة ، ١٤١٥هـ .
٩١. سبيلك إلى السعادة والنجاح ، سمير شيخاني ، دار الآفاق الجديدة ، ١٤٠٢هـ .
٩٢. سبيلك إلى الشهرة والنجاح ، د. أوريزون ماردن ، دار الكتاب العربي ودار الشواف ، ١٩٩٢م .
٩٣. سر النجاح في شخصيتك ، أحمد الملا ، ١٤١٣هـ دار الصفوة .
٩٤. سلسلة أعمال القلوب ، محمد صالح المنجد ، دار الفجر للتراث ، ١٤٢٦هـ.
٩٥. سلسلة خطب المنبر (٦) ، د. عبد العزيز السدحان ، تصوير .
٩٦. سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٤هـ .
٩٧. شخصيات استوقفتني ، د. محمد سعيد رمضان البوطي ، دار الفكر المعاصر ، ١٤٢٢هـ .
٩٨. شرح السنة ، البغوي ، المكتب الإسلامي.

٩٩. شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين ، محمد بن صالح العثيمين – رحمه الله –، مدار الوطن للنشر ، ١٤٢٧هـ .
١٠٠. شوربة دجاج لحياة لا تعرف اليأس ، جاك كانفيلد – مارك هانسن – هيثر ما كنامارا ، ٢٠٠٢ م ، مكتبة جرير .
١٠١. صحيح الأدب المفرد ، محمد ناصر الدين الألباني ، الوكيل .
١٠٢. صحيح السيرة النبوية ، إبراهيم العلي ، تقديم : د. عمر سليمان الأشقر ، راجعه : همام سعيد ، دار النفائس ، ١٤٢٧هـ .
١٠٣. صحيح سنن ابن ماجة ، صححه محمد ناصر الدين الألباني .
١٠٤. صحيح سنن أبي داود ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٩هـ .
١٠٥. صحيح سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني .
١٠٦. صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته ، محمد ناصر الدين الألباني ، المكتب الإسلامي.
١٠٧. صفات الداعية النفسية ، د. عبد الله علوان ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ١٤٠٦هـ .
١٠٨. صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، دار الوعي بحلب .
١٠٩. صفة الصفوة ، ابن الجوزي ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، ١٤١٨هـ .
١١٠. صيد الخاطر ، ابن الجوزي ، ١٤٢٤هـ ، دار الكتاب العربي .
١١١. ضعيف الأدب المفرد ، محمد ناصر الدين الألباني ، الوكيل .
١١٢. ضعيف سنن أبي داود ، محمد ناصر الدين الألباني ، مكتب التربية العربية لدول الخليج ، ١٤١٢هـ .
١١٣. ضعيف سنن الترمذي ، محمد ناصر الدين الألباني .
١١٤. طريقي إلى النجاح ، كما نجحت يمكنك أنت أيضاً أن تنجح ، باسكال كروتشي .
١١٥. عجز الثقات ، د. محمد بن حسن بن عقيل موسى الشريف ، دار الأندلس الخضراء ، ١٤١٩هـ .
١١٦. عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين ، ابن القيم الجوزية ، دار الكتب العلمية .
١١٧. عصرنا والعيش في زمانه الصعب ، أ.د. عبد الكريم بكار ، دار القلم ، ١٤٢٥هـ .

١١٨. عظماء بلا مدارس، عبد الله صالح الجمعة، مكتبات ونشر العبيكان ، ١٤٢٨هـ.

١١٩. عقبات في طريق الدعاة ، وطرق معالجتها في ضوء الإسلام ، د. عبدالله علوان ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، ١٤٠٧هـ .

١٢٠. عقبات في طريق الدعاة وطرق معالجتها في ضوء الإسلام ، عبد الله علوان ، دار السلام ، ١٤٠٧هـ .

١٢١. علاج الهموم ، محمد صالح المنجد ، دار الوطن ، ١٤١٩هـ .

١٢٢. علمتني الحياة ، بأقلام نخبة من الشرق والغرب ، دار الهلال .

١٢٣. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير ، ابن سيد الناس ، دار الأفاق الجديدة .

١٢٤. غذاء الألباب شرح منظومة الآداب ، السفاريني ، دار الكتب العلمية .

١٢٥. غزوة الأحزاب في ضوء القرآن الكريم ، سعود الفنيسان ، دار أشبيليا، ١٤١٨هـ.

١٢٦. فتح الباري لابن حجر العسقلاني ، المطبعة السلفية .

١٢٧. فتح المجيد شرح كتاب التوحيد ، عبد الرحمن بن حسن ، دار الفيحاء ، دار السلام ، ١٤١٤هـ .

١٢٨. فرسان من التاريخ ، أحمد خليل جمعة ، اليمامة ، ١٤٢٢هـ .

١٢٩. فصول ثقافية ، عبد الله زنجير ، مركز الراية للتنمية الفكرية ، ١٤٢٦هـ .

١٣٠. فصول في التفكير الموضوعي ، أ.د . عبد الكريم بكار ، دار القلم ، ١٤٢٦هـ .

١٣١. فصول في التفكير الموضوعي ، د. عبد الكريم بكار ، دار القلم ، ١٤١٩هـ .

١٣٢. فواصل ثقافية ، عبد الله زنجير ، مركز الراية للتنمية الفكرية ، ١٤٢٦هـ .

١٣٣. قدرات غير محدودة ، أنتوني روبنز ، مكتبة جرير ، ٢٠٠٠م.

١٣٤. قصص القرآن ، محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم ، السيّد شحاته ، دار الكتب العلمية .

١٣٥. قصص القرآن الكريم ، د. فضل حسن عباس ، دار النفائس ، ١٤٢٧هـ .

١٣٦. قضايا ومباحث في السيرة النبوية ، سليمان بن حمد العودة ، دار المسلم ، ١٤١٦هـ .

١٣٧. قيمة الزمن عند العلماء ، عبد الفتاح أبو غدة ، مكتب المطبوعات الإسلامية، ١٤٠٤هـ .

١٣٨. كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد ، للشيخ : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى ، دار ابن خزيمة ، ١٤١٤هـ .
١٣٩. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة ، دار العلوم الحديثة .
١٤٠. كيف أصبحوا عظماء ، د. سعد سعود الكريباني ، مكتبة العبيكان ، ١٤٢٦هـ.
١٤١. كيف تستمع بحياتك وعملك ، مختارات من أكثر الكتب مبيعاً " كيف تؤثر على الآخرين وتكتسب الأصدقاء " و " وكيف تتخلص من القلق وتبدأ الحياة " ، ديل كارنيجي ، ٢٠٠٥م ، مكتبة جرير .
١٤٢. كيف تكون عملياً أكثر ، إعداد وترجمة سامي سلمان ، مؤسسة المؤتمن ، ١٤١٨هـ .
١٤٣. كيف يؤثر كلامنا على أعمالنا ، سبع لغات تحول السلبيات إلى إيجابيات ، روبرت كيجان وليزا لاسكو لا هي ، العدد(٢٧٠) ، خلاصات .
١٤٤. كيف يؤثر كلامنا على أعمالنا سبع لغات تحول السلبيات إلى إيجابيات ، روبرت كيجان وليزا لاسكو لاهي ، الشركة العربية للإعلام العلمي (شعاع) العدد(٢٧٠).
١٤٥. لا تحزن ، د. عائض القرني ، مكتبة العبيكان ، ١٤٢٥هـ .
١٤٦. لا تهتم بصغائر الأمور ، فكل الأمور صغائر ، د. ريتشارد كارلسون ، مكتبة جرير ، ١٩٩٩م .
١٤٧. لطائف المعارف في ما لمواسم العام من الوظائف ، ابن رجب الحنبلي ، دار الجيل .
١٤٨. مئة طريقة جديدة لتحفيز نفسك ، ستيف تشاندلر ، ٢٠٠٣ م ، مكتبة جرير.
١٤٩. مبشرات المستقبل ، د. أحمد محمد العليمي ، دار ابن حزم ، ١٤٢١هـ .
١٥٠. مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، جمع : عبد الرحمن بن قاسم ، مكتبة المعارف .
١٥١. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين ، لأبي إسماعيل الهروي، دار الكتاب العربي ، ١٣٩٣هـ .
١٥٢. مدخل إلى التنمية المتكاملة رؤية إسلامية ، أ.د. عبد الكريم بكار ، دار القلم، ١٤٢٢هـ .

١٥٣. مدخل إلى التنمية المتكاملة ، د عبد الكريم بكار ، دار المسلم ، ١٤١٨هـ .
١٥٤. مرض النبي ﷺ ووفاته وأثر ذلك على الأمة ، دار الوطن ، ١٤١٤هـ .
١٥٥. مسند الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق : شعيب الأرناؤوط وزملاؤه ، إشراف عبد الله التركي ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٣هـ .
١٥٦. مشكلات الدعوة والداعية ، فتحي يكن ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ .
١٥٧. مشكلات وحلول في حقل الدعوة ، عبد الحميد البلالي ، دار الدعوة ٣٨ ، ١٤١٥هـ .
١٥٨. مع الناس ، علي الطنطاوي ، دار ابن حزم ، ١٤٢٤هـ .
١٥٩. معالم في أوقات الفتن والنوازل ، د. عبد العز يز السدحان ، المكتب التعاوني للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات في حوطة سدير ، ١٤٢٥هـ .
١٦٠. معالم في طريق الطلب ، د. عبدالعزيز السدحان ، دار شقراء ، ١٤١٨هـ .
١٦١. معالم في طريق الإصلاح ، د. عبد العزيز السدحان ، دار العاصمة ، ١٤٢١هـ .
١٦٢. معجم المؤلفين ، عمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت.
١٦٣. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية أهل العلم والإرادة ، ابن قيم الجوزية ، دار ابن عفان ، ١٤١٦هـ .
١٦٤. مقالات في المنهج ، المجموعة الثانية ، د. سلمان العودة ، مكتبة الرشد ، ١٤٢٦هـ.
١٦٥. مقالات في المنهج ، د. سلمان بن فهد العودة ، المجموعة الأولى ، مكتبة الرشد، ١٤٢٦هـ .
١٦٦. مقالات في كلمات ، علي الطنطاوي ، دار المنارة ، ١٤٢٢هـ .
١٦٧. مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي ، أ. د.عبد الكريم بكار ، دار القلم ، ١٤٢٢هـ.
١٦٨. مقدمة ابن خلدون ، ابن خلدون ، دار الكتاب اللبناين .
١٦٩. مقومات الداعية الناجح ، د. علي بن عمر بادحدح ، دار الأندلس الخضراء ، ١٤١٧هـ .
١٧٠. من حرّك جبني ؟ قصة لإدارة التغيير في حياتنا وعملنا ، سبينسر جونسون ، ١٩٩٨م .
١٧١. موسوعة نظرة النعيم في مكارم وأخلاق الرسول الكريم ﷺ ، إعداد مجموعة من المختصين ، دار الوسيلة ، ١٤١٨هـ .

١٧٢. هكذا علمتني الحياة ، د. مصطفى السباعي ، ١٤٢٠هـ ، دار الوراق .

١٧٣. هكذا هزموا اليأس ، سلوى العضيدان ، ١٤٢٨هـ .

١٧٤. واقعنا المعاصر ، محمد قطب ، مؤسسة المدينة للصحافة والطباعة والنشر ، ١٤٠٨هـ .

١٧٥. The Mecca Facto، Tom Ruddell، 1996، (الطريق إلى مكة ، خمسة متطلبات للنجاح العملي والشخصي) .

١٧٦. The Neuroscience of Leadership Mindful Change In Practice، David Rock and Jeffrey Schwartz (الخلايا العصبية الدماغية وأدوارها القيادية ، استثمارات الملكات الإنسانية في التغيير، ديفيد روك و جيفري شوارتز .

١٧٧. The Solutions Focus:The S.I.M.P.L.E Way to Positive Change، Paul Z.Jackson Mark Mckergow (عقلية الحل : طريقة سهلة للتغيير الإيجابي ، بول جاكسون ، مارك ما كيرجو).

١٧٨. What Losing Taught Me about Winning، Fran Tarkenton، 1997(ماذا علمني الفشل عن النجاح ، دليل جديد لإدارة المشروعات الصغيرة، فران تاركنتون) .



الفهرس :

توطئة ٩
مقدمة ١٠
تفاؤل الصحابة ١٣
تفاؤل العلماء والدعاة ١٣
التطير في الجاهلية ١٦
التشاؤم في عصرنا ١٨
التشاؤم بالحيوانات والنباتات ١٩
التشاؤم بالأسماء ١٩
حكم التفاؤل والتطير ٢٢
الفرق بين الفأل والطيرة ٢٤
حد الطيرة ٢٦
إذا رأى الشخص ما يكره فماذا يفعل ٢٧
كفارة الطيرة ٢٧
إشكال ٢٨
لماذا الحديث عن التفاؤل ٣٢
تفاؤل الرسول صلى الله عليه وسلم ٣٨
تقنيات / مهارات التفاؤل ٥٠
إدراك أن كل ما أمرنا الله عز وجل به فهو مما نطيق فعله ٥٢
للعقيدة أثر كبير في جعلنا متفائلين ٥٥
كن واثقا بالله تعالى أولا ثم ابذل جهدك ٥٧
حتى نكون متفائلين لنكن أصحاب رؤية واضحة ٥٨
لنضع لأنفسنا أهدافا سامية نحاول الوصول إليها دائما ٦١
حتى نكون متفائلين لابد أن نكون متوكلين على الله تعالى ٦٥
الأمل ٦٩
النظرة الإيجابية ٧١
التشويش على الأفكار السلبية التشاؤمية وعدم الاسترسال فيها ٨١
لنحدد الوسائل والعوامل والمصادر التي أدت بنا إلى التشاؤم وعدم التفاؤل ٨٣
لنكتشف مناجم أنفسنا ؛ ففيها درر نفيسة ومعادن كريمة ٨٤



لنحاول أن ندفع أنفسنا في أنشطة يومية يسيرة تبعث على التفاؤل ٨٥
لنكف عن المبررات ، ولنتخلص من إلقاء اللوم على أنفسنا وعلى الآخرين ٨٦
توقع الأفضل ٨٧
الصبر و المصابرة والمثابرة والتجدد و الحماسة ٩٢
ليس هناك مستحيل ٩٧
لا تستسلم أبدا ٩٩
لنتقبل أنفسنا كما هي ونبدأ بتطويرها ١٠٨
لا تذرف الدموع على ما مضى ١٠٩
لنصحب المتفائلين ١١٥
لنبرمج لغتنا على الكلمات المتفائلة ولنستخدم نبرة صوت مبتهجة ١١٩
لنتصرف وكأننا أشخاص متفائلون ١٢٣
لنحاول أن نذلل العثرات والمعوقات التي تواجهنا وتعرقل مسيرتنا ١٢٨
الدعاء ١٣٦
لا نجعل لليأس والإحباط طريقا إلى قلوبنا ١٣٩
الابتعاد عن الخوف الزائد ١٦٤
قد يكون حدثا لا يرى منه إلا الوجه السيء فيكون خيرا ونحن لا نعلم ١٦٥
نشر ثقافة التفاؤل ٢١٠
تدرب وابدأ في التغيير الآن ٢١٦
وبعد ٢١٧
وأخيرا ٢٣٢
تدوين الفوائد ٢٣٣
المراجع ٢٣٥
الفهرس ٢٤٥